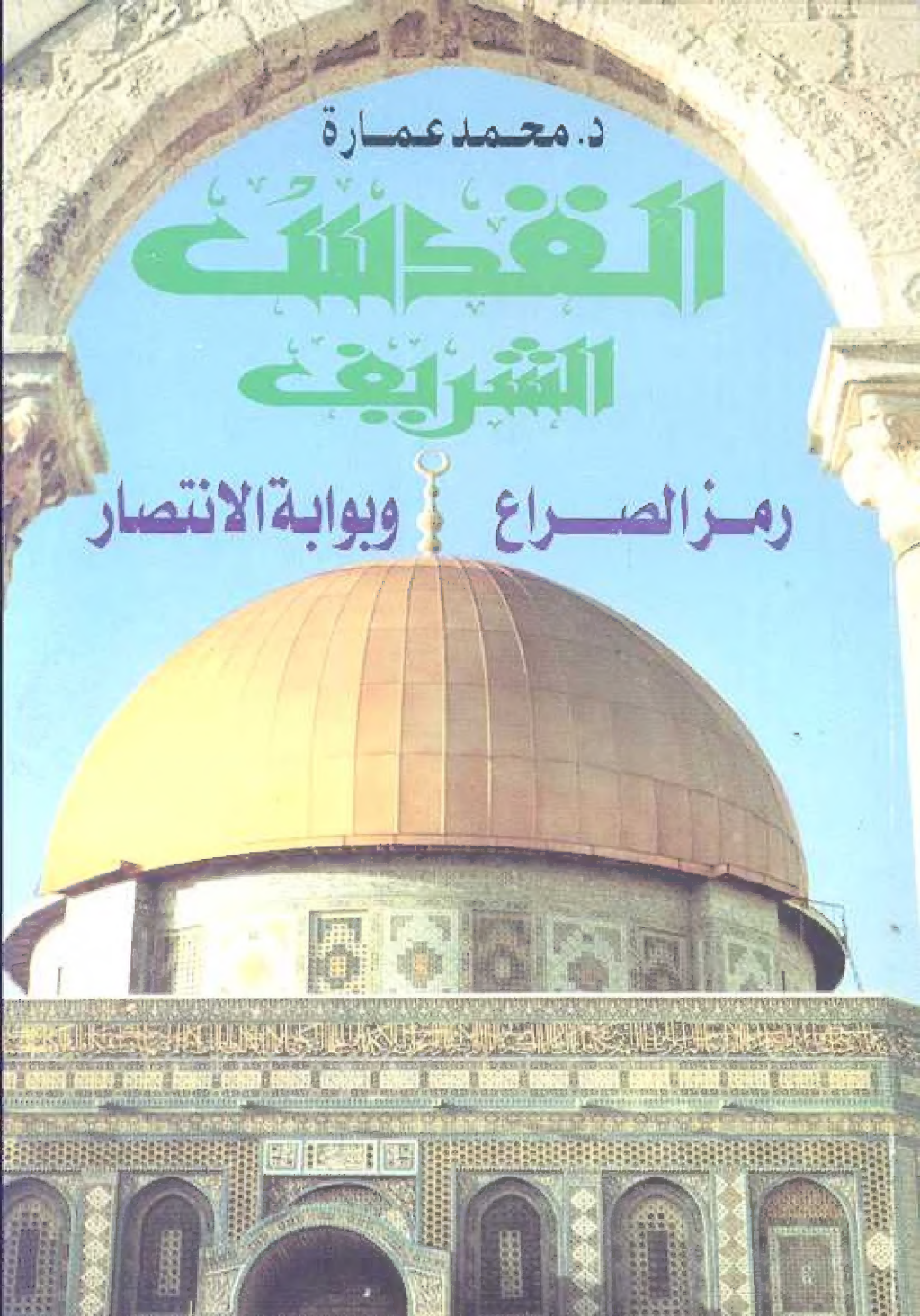


د. محمد عمارة

الفقه الشريف

رمز الصراع وبوابة الانتصار



د. محمد عمارة

الفقه الشريفي

رمز الصراع
وبوابة الانتصار



مكتبة مصر

للطباعة والنشر والتوزيع

أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٧٨



عنوان الكتاب : القدس الشريف

رمز الصراع وبوابة الانتصار

تأليف : د/ محمد عمارة

الإخراج الفني : م. محمد العتر

تاريخ النشر : فبراير ١٩٩٨

رقم الإيداع : ٣٧٥٩ / ١٩٩٧

الترقيم الدولي : 5 - 0584 - 14 - 977 - I.S.B.N.

الناشر : دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع

المركز الرئيسي : ٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة ٦ أكتوبر

ت : ٢٣.٢٨٧ - ٢٣.٢٨٩ / ١١

فاكس : ٢٣.٢٩٦ / ١١

مركز التوزيع : ١٨ شارع كامل صدقي - الفجالة - القاهرة

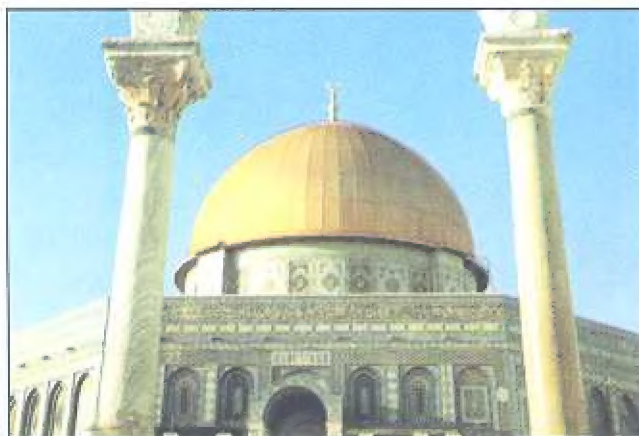
ت : ٥٩.٩٨٢٧ - ٥٩.٨٨٩٥ - فاكس ٥٩.٣٣٩٥ / ٢

ص.ب : ٩٦ الفجالة

إدارة النشر : ٢١ ش أحمد عزابي (برج النهضة) المهندسين - القاهرة

ت : ٣٤٦٦٤٣٤ - ٣٤٧٢٨٦٤ فاكس : ٢/٣٤٦٢٥٧٦

ص.ب : ٢٠ إمبابة



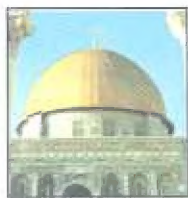
يقول الله - سبحانه وتعالى - في محكم كتابه :
﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ
لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾
[الإسراء : ١٠]

ويقول رسول الله ﷺ - فيما يرويه
أبو هريرة ، رضى الله عنه - :

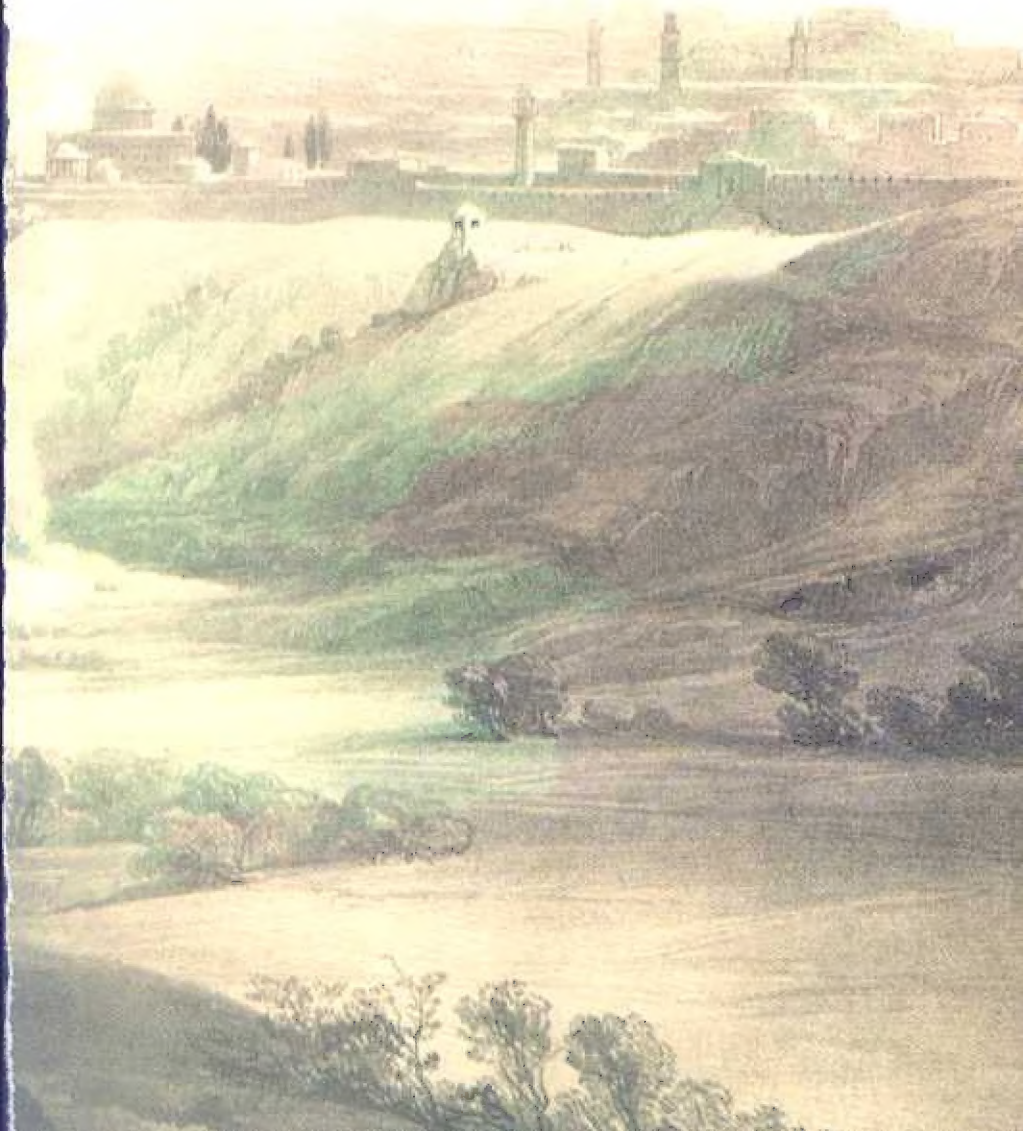
« لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة
مساجد : إلى المسجد الحرام
ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى »
رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي
وابن ماجه والدارمي والإمام أحمد .



مخطط عام لمدينة القدس



■ منظر عام لمدينة القدس في القرن الثامن عشر ويظهر فيها بيت المقدس والمواطنون العرب.





الفقه

قبل الإسلام

في الألف الرابعة قبل الميلاد ، بنى الكنعانيون - أهل فلسطين - «مدينة يورد سالم» أو «يورشالم» ، ومن اسمها هذا جاءت تسميتها الغربية Jerusalem في اللغات اليونانية واللاتينية والألمانية والفرنسية والإنجليزية وغيرها . . ومن هذا الاسم أيضا جاءت تسميتها في «العهد القديم» بـ «أورشليم» . -

ولقد بدأ تاريخ العبرانيين الاتصال بهذه المدينة الكنعانية ، عندما استولى عليها داود - عليه السلام - في القرن العاشر قبل الميلاد ، أي بعد نحو ثلاثة آلاف عام من تأسيسها على يد الكنعانيين ! . . ولم تدم هذه السيطرة العبرية على هذه المدينة لأكثر من أربعة قرون (٤١٥ عاما) . . أي إلى التاريخ الذي هدمها فيه البابليون ، الذين أزالوا «ملكة يهوذا» من الوجود سنة ٥٨٥ ق م ، وبدأوا حقبة «السبي البابلي» للعبرانيين . .

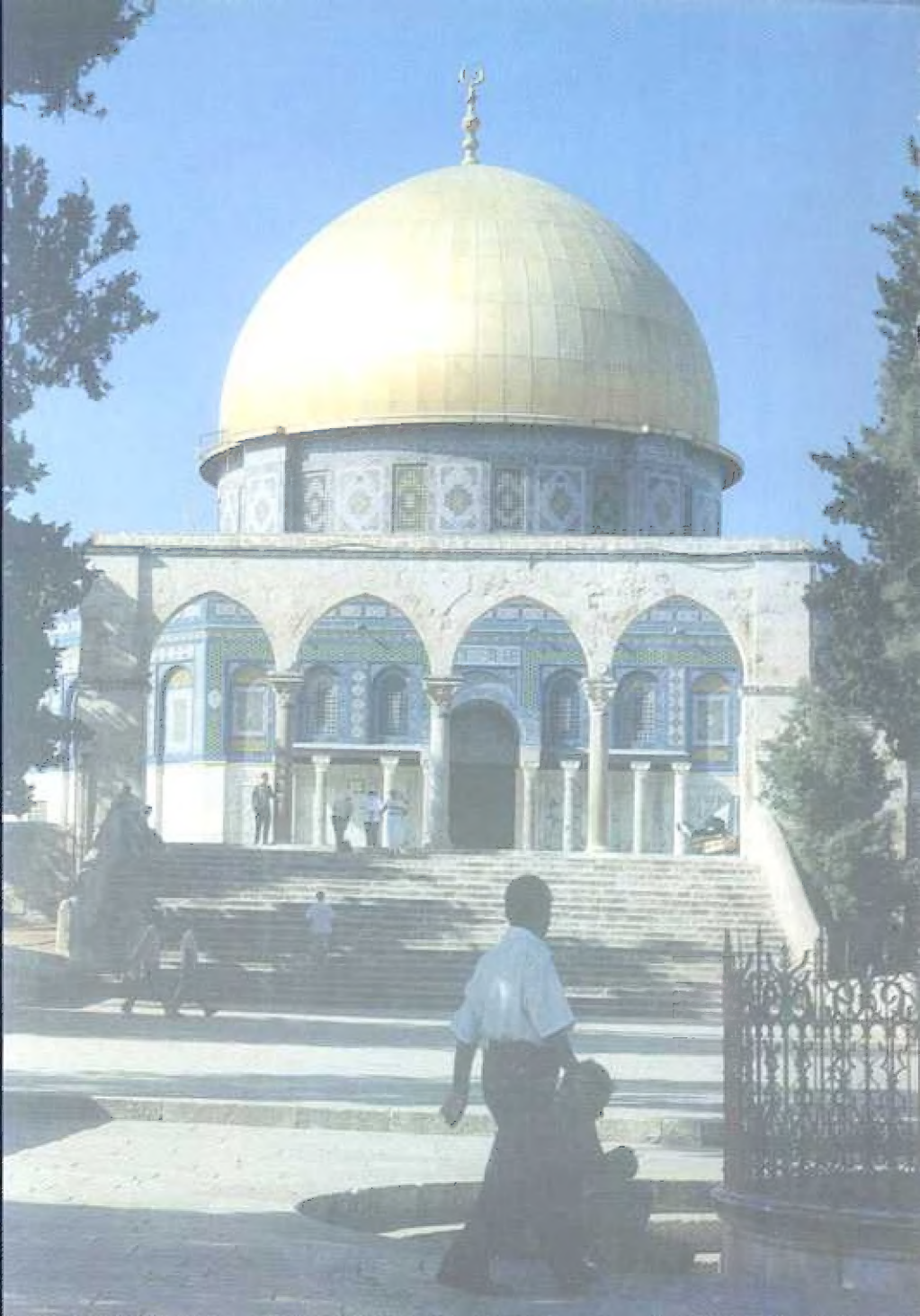
وحتى بعد سماح الفرس لبعض العبرانيين بالعودة إلى أرض كنعان ، كانت عودة الذين عادوا منهم إليها ، عودة استيطان بلا دولة ، وبلا سيادة على مدينة «أورشليم» . .

لكن هذا الوجود اليهودي قد عاد وأثار حفيظة الدولة الرومانية ، فدمروا هذه المدينة مرتين ، الأولى على يد الإمبراطور «تيطوس» Titus (٣٩ - ٨١ م) في سنة ٧٠ م . والثانية على يد الإمبراطور «حدريانوس» سنة ١٣٥ م ، وذلك عندما محّاها محوّا تامّا ، بل وغير اسمها إلى «إيليا كابيتولينا» - أي إيليا العظمى - وهو الاسم الذي ظلّ علما عليها حتى الفتح الإسلامي لها (١٥هـ - ٦٣٦م) في خلافة الراشد الثاني الفاروق عمر بن الخطاب (٤٠ ق . هـ ٢٣هـ - ٥٨٤ - ٦٤٤م) ..

وفي السنوات الأربعمائة ، التي سيطر فيها العبرانيون على هذه المدينة ، احتكروا قداساتها لمقدساتهم وحدهم ، دون غيرهم من الشعوب التي كانت تقطن أرض كنعان في ذلك التاريخ ، وهي الشعوب التي بنت هذه المدينة قبل ثلاثة آلاف عام من دخول داود - عليه السلام - إليها ، وظلّوا يمارسون هذا الاحتكار ، بل والاضطهاد ، مع النصرانية والنصارى منذ بعثة المسيح عيسى ابن مريم - عليه السلام .

وبعد تدين الدولة الرومانية بالنصرانية - (في القرن الرابع الميلادي) - كانت قدسية هذه المدينة - «إيليا» .. وقفا على النصارى ، الذين اضطهدوا اليهود ، وجعلوا أماكن «هيكلم» - بعد هدمه مجمعا للقمامة والقاذورات ، تجلب إليه من داخل المدينة وخارجها ! .. حتى طلبوا من عمر بن الخطاب ، عند تسلمه للمدينة بعد فتحها أن يضمن لهم «ألا يسكنهم فيها أحد من اليهود» ! ..

ذلك هو تاريخ هذه المدينة قبل الإسلام ..







التاريخ الإسلامي

الفصل

لكن فتح الإسلام والمسلمين لهذه المدينة - « يوروسالم -
أورشليم - إيليا » - كان بداية عصر جديد . . فالإسلام
والمسلمون هم الذين أعطوا لهذه المدينة القداسة والقدسية ،
حتى في اسمها الجديد ، فسميت بـ « بيت المقدس »
و« القدس » منذ ذلك التاريخ . . ولأول مرة في تاريخها الديني ،
تصبح قدساتها عامة لجميع أمم الرسالات السماوية - اليهودية
والنصرانية . . والإسلام - وليست حكراً لأبناء دين دون غيرهم
من أبناء الديانات الأخرى . .

فأماكن المقدسات اليهودية المهدومة منذ قرون ، والتي جعلها
النصارى - في العصر الروماني - « مجلساً للقمامة
والقاذورات » ، ذهب إليها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -
بعد أن تسلم المدينة ، وعقد مع أهلها « العهد العمري الشهير »
« فوجد على الصخرة زبلاً كثيراً ، مما طرحه الروم غيظاً لبني
إسرائيل ، فبسط رداءه ، وجعل بكنس ذلك الزبل ، وجعل
المسلمون يكتسون معه الزبل » .

«وتتبع المسلمون أماكن عبادة الأنبياء السابقين واحدا واحدا . ابتداء من إبراهيم إلى آخر من دفن منهم في فلسطين وبيت المقدس ، فأقاموا فيها المساجد ، وحافظوا على قداساتها ، وظهروها تظهيراً » (د . إسحاق موسى الحسيني « مكانة بيت المقدس في الإسلام » كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية - ص ٥٧ ، ٥٨ سنة ١٩٦٨ م) . .

لقد آحل المسلمون هذه المدينة مكاناً فريداً تميزت به عن كل المدن التي فتحوها ، وذلك عندما لم يتسلسلها القائد الفاتح - وهو « أمين الأمة » أبو عبيدة بن الجراح (٤٠ ق هـ - ١٨ هـ ٥٨٤ - ٦٣٩ م) - وكان تسليمها للخليفة عمر بن الخطاب . الذي ركب من « المدينة المنورة » إليها ، ليتسلم أمانتها ، وليعقد بنفسه العهد العسري ، مع بطريكها صفرونيوس (١٧ هـ - ٦٣٨ م) . . لتكون لها بهذه الخصوصية مكانة « أمانة الفاروق عمر » لدى أمة الإسلام ! . .

وهو شرف لم تحظ به مدينة من المدن التي فتحها المسلمون ، عبر تاريخ الفتوحات

ويتغير اسم هذه المدينة إلى « القدس » و « بيت المقدس » ، رفع المسلمون عليها رايات مقدسية والقدسية ، ويتخرج عمر ابن الخطاب - عندما كان يجلس مع « صفرونيوس » في كنيسة القيامة - من أن يصلى في الكنيسة ، رغم دعوة البطريرك ، كي لا تكون مسلم شبهة حق في أرض الكنيسة يقيم فيها مسجداً

بهذا الموقف العسري أضفى عمر بن الخطاب تقديس الإسلام لمقدسات النصارى . . ولم يكن عمر في ذلك



«مبتدعاً» ، بل ولا حتى «مجتهداً» ، لأنه هو المؤمن بالعقيدة الإسلامية ، انتهى لانكتمل أركانها إلا بالإيمان بسائر الرسل وجسيع الرسالات وكل الكتب التي سبقت رسالة محمد ﷺ ، كما يقول القرآن الكريم :

﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ (٢) الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون (٤) أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (٥) .

[البقرة : ٢ - ٥]

﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

وهو - عمر - الذي يتعبد بالقرآن الكريم ، الذي عرض لمقدسات أم الرمالات السماوية جسيعة ، فبدأ بالصوامع وانتهى بالمساجد ، ولولا دفع الله الناس بعضهم بعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز (١) [الحج : ١٧]

بهذا الموقف العمري ، بدأت الحقبة الإسلامية في تاريخ المدينة ، فعدت قدساتها عامة لعامة أبناء رسالات السماء ، فكنيسة القيامة قدس خاص بالنصارى ، ومبطل المقدسات اليهودية ، أعاد إليها عمر والمسلمون الطهارة عندما رفعوا عنها القداسة والقاذورات . . . وارتفعت في المدينة عمائر المساجد الإسلامية

صنع المسلمون ذلك ، لانهم امة الرسالة الخاتمة ، التي ورثت كل
 مواريث الانبياء والمرسلين ، فكانت رسالة رسولهم النبوة التي
 تضمنت بناء دين الله الواحد ، وحملت امانة الحفاظ على سائر لبنات
 هذا البناء ، فامة الشريعة التي اكملت الدين الالهى الواحد هى
 الحاملة لامة الحفاظ على مقدسات سائر شرائع هذا الدين لانها
 وحدها التي تعترف بشرعية سائر شرائع هذه الأديان ..



والمسلمون صنعوا ذلك مع " القدس " تحديداً ، لأن قرآنهم
 الكريم قد جعل الرباط بين " القدس " وبين " الحرم المكي "
 الذى هو قبلة الأمة الخاتمة - آية من آيات الله ، وليس مجرد
 رباط سياسى أو إدارى ، يقيمده فاتحون وينقضه غزاة ! ..
 سبحان الذى أسرى بعبدہ ليلاً من المسجد الحرام إلى
 المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع
 البصير (١) | الإسراء : ١

فكان الإسراء - إسرائ الله بعبدہ ورسولہ من المسجد الحرام
 إلى المسجد الأقصى - وعروجه من الصخرة إلى سدرة المنتهى ،
 الإعلان الإلهي عن ختم هذه الرحلة القدسية لخطوات الأنبياء
 والرسول على طريق الله ، وعن حمل أمة الرسالة الخاتمة أمانة
 الجهاد فى سبيل الحفاظ على مقدسات كل الرسالات ، تلك
 التي تجسدها مدينة القدس قبل غيرها . وأكثر من غيرها من
 المدن والبقاع ..

ولقد شهيد التاريخ الإسلامى للقدس ، بأحرف من نور .
 على وفاء الأمة الإسلامية بهذه الأمانة التي أودعها الله ، والتي



ومزرت إليها رحلة الإسراء ، والتي سلمها إياها عمرو بن الخطاب . فغدت القدس . منذ ذلك التاريخ مشاعة القداسة ، مفتوحة الأبواب لكل أبناء رسالات السماء . . ازدهرت فيها ، إلى جانب المساجد الإسلامية كنائس النصارى . . وأخذ اليهود يعودون إلى سكنائها . بعد أن حرموا من ذلك في العهد الروماني ، الوثني والنصراني على حد سواء .

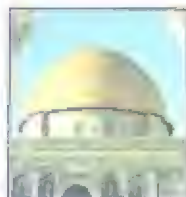
بل لقد تولت الأسر المسلمة المقدسية « نظارة الأوقاف » التي أوقفها النصارى على كنائسهم . اختارهم النصارى لذلك . فرعوا المقدسات النصرانية على امتداد التاريخ الإسلامي . .

وشاء الله أن تظل هذه « الأمانة » من خصائص الأمة الإسلامية . والذول الإسلامية دائما وأبدا . . فطالما كانت السيادة على القدس لأمة الرسالة التي لا تحتكر التدوين بدين الله . . ولا تحتكر النبوات والرسالات . . ولا تدفعها العنصرية إلى احتكار القدسية لأماكن عبادتها . . طالما ساد هذا الحال . كانت الأبواب مفتوحة في القدس لكل أمة الرسالات . .

أما في فترات تراجع هذا التوجه . وهزيمة الدولة الإسلامية ، وانحسار سيادة المسلمين عن القدس . . في الحقبة الصليبية القديمة . . والحقبة اليهودية المعاصرة . فإن الاحتكار لقداسة القدس يعود ليظل بوجهه الكئيب ! . .

حدث ذلك في تاريخ القدس . . حتى لكأنه القانون الذي لا تبديل له ولا تحويل !! . .





في الحقبة الصليبية

كان الضعف قد أصاب القوى الثلاث التي تقاسمت حكم الشرق الإسلامي : العباسيين ، والفاطميين ، والسلاجقة . . . فانتهم الغرب العزيمة لتعيد سيطرته على الشرق . تلك التي كان قد أقامها الإسكندر الأكبر (٣٥٦ - ٣٢٤ ق م) قبل الميلاد ، والتي أزاحتها فتوحات الإسلام !

وفي مدينة « كليرمونت » بجنوب فرنسا ، تكبر الحنف الغربي ، الذي قاد البابا الهنري « ابن الباني » (١١٨٨ - ١١٩٩ م) والذي مولته المدن التجارية الإيطالية ، الجامعة في السيطرة على طرق التجارة الدولية العابرة للشرق الإسلامي

« كانت القوة الضاربة لهذه الموجة العازية هم فرسان الإقطاع الأوروبيون . . الذين حدد لهم البابا مهمة العودة الصليبية عندما خاطبهم - في « كليرمونت » سنة ١٠٩٥ =

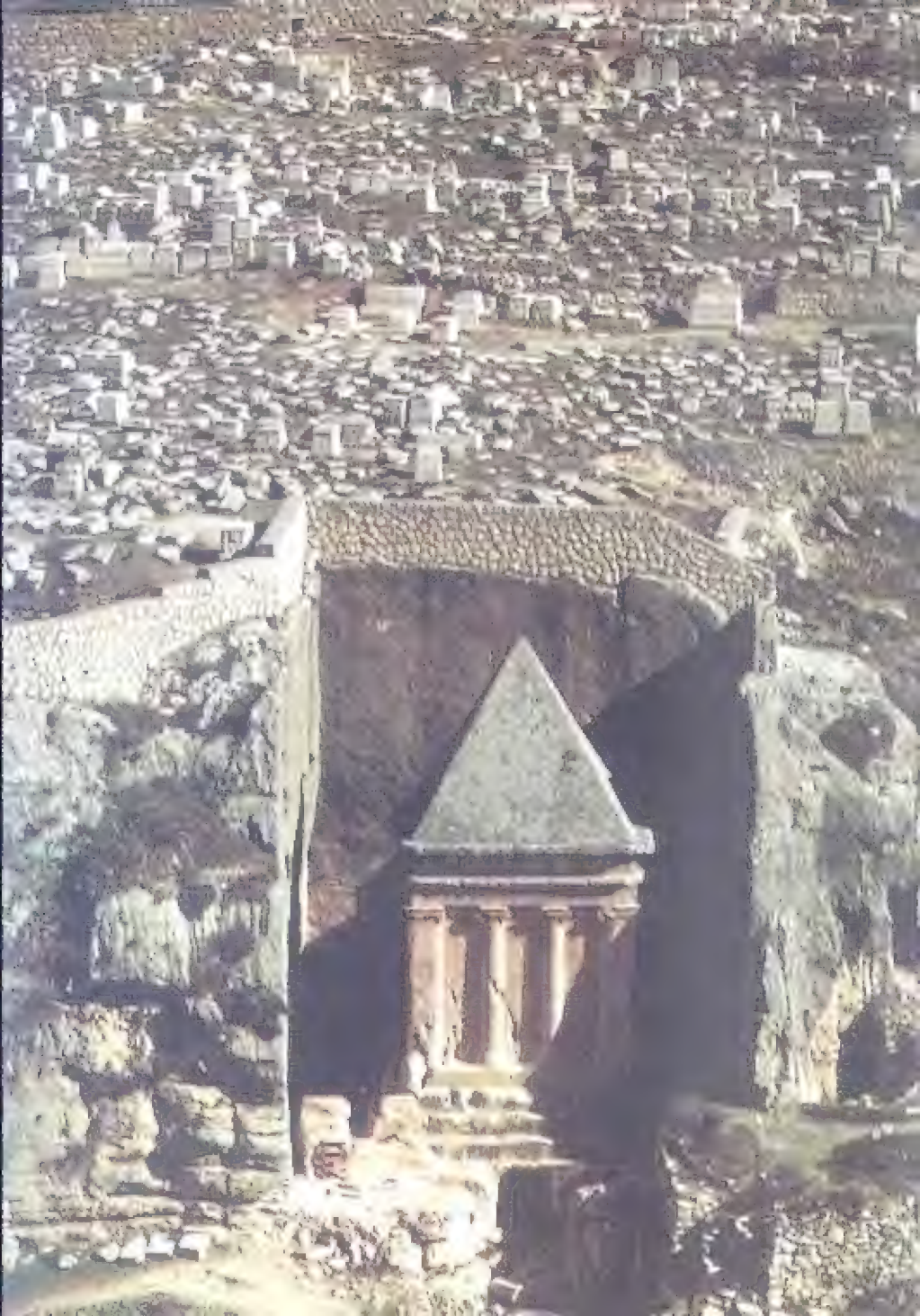
فقال : أنتم فرسان أقوياء ، ولكنكم تتناطحون وتتباذون فيما بينكم . ولكن ، تعالوا وحاربوا الكفار - (المسلمين) - يا من تتباذم تحذوا . . . يا من كنتم لصوصا كونوا الآن جنودا . . . تقدموا إلى « البيت المقدس » .

التزعوا تلك الأرض الطاهرة . واحفظوها لأنفسكم . فهي تدر سمنا وعسلا ١٩

إنكم إذا انتصرتم على عدوكم ورثتم ممالك الشرق ! . . . وهكذا . . . رغم « البابوية » . . . وأعلام الصليب . . . والتهيج الديني . . . والحديث عن منهج المسيح . . . فإن كلمات البابا أفصححت عن مقاصد « الغزوة - الصفقة » : « وراثة ممالك الشرق » ، التي تدر سمنا وعسلا ! . . . وحل تناقضات أمراء الإقطاع بتوجيه قواهم لتدمير « المسلمين - الكفار » ! .

فبدأت في العام ٤٨٩هـ - ١٠٩٦م أولى حملات الغزوة الصليبية التي دامت قرنين من الزمان . . . والتي أصبح قتل المسلمين فيها ، ونهب بلادهم ، واحتلال أوطانهم ، وإقامة الإمارات والممالك اللاتينية في فلسطين وما حولها . . . أصبح كل ذلك « مهنة . . . ووظيفة » لأمراء الإقطاع الأوروبيين

وبعبارة المؤرخ المسيحي « مكسيموس موروند » - صاحب كتاب (حرب الصليب) - « فإن الكثير من الأشراف والعظماء صاروا يعتبرون الحروب بمنزلة مهنة صناعية لاحتماء - (جمع) - الأموال الغنيمة ، بل إن التعطش نحو أخذ الغنائم وحده كان يجذب الجيش إلى المحاربة » ! . . .



ومع مطلع القرن الحادي عشر الميلادي كانت الإمارات
الصليبية التي أقامها الغزاة في المشرق العربي قد قطعت الوحدة
الأرضية لعالم الإسلام .

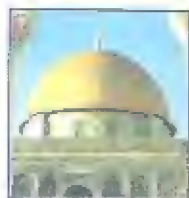
ففي شمال العراق وسوريا قامت إمارتا « الرها »
و« أنطاكية » . وبعد اقتحام القدس قامت « ملكة أورشليم » .
التي وصلت حدودها إلى خليج العقبة ! عازلة مصر والمغرب
والأندلس عن مشرق وطن العروبة وعالم الإسلام !! .

ولقد كان احتلال القدس نموذجاً للممارسات « النصوص الذليل
صاروا جنوداً » .

فلقد حاصرها سبعون ألفاً وكانت الحامية المدافعة عنها ألف
جندي مصري . . فسقطت بيد الصليبيين بعد صمود دام
ثمانية وثلاثين يوماً . . .

ويحكى المؤرخ المسيحي مكسيموس مونرون كيف انعقد
ديوان المشورة العسكرية الصليبي . في ذات المكان الذي فيه
مختطفنا غفر نصائبه . فقرر أن يقاتل « يقص » كـ « مسدق » آخر
المدينة المقدسة .

وأنصرفت المحررة المسوعاً كاملاً . . ومن هرب في البيوت
والأقبية قبضوا عليه وقد فؤاده من أعالي البيوت والبروج في
الشار .



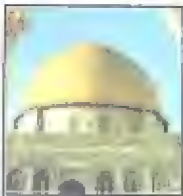
أما الذين احتتموا بجامع عمر بن الخطاب، فلقد غدت دماؤهم
سبيلا .. علا إلى حد الركب، بن إلى حد نجم الخيل .. كما يقول
مكي موسى ..

وفي الرسالة التي بعثوا بها إلى البابا، يبشرونه بما صنعوا قالوا،
مفاخرين .. إذا أردت أن تعرف ما يجري لأعدائنا، فثق أنه في
معبد سليمان الجامع عمر .. كانت خيولنا تغوص إلى ركبها في
بحر دماء الشرقيين .. ١٩ ..

■ القدس بمقدساتها
الإسلامية والمسيحية







مرحلة عزل مصر

وبعد مرحلة تثبيت الكيانات الصليبية المزروعة في الأرض
المغتصبة .. بدأت مرحلة الهيمنة الاقتصادية على المنطقة
بأسرها بالسيطرة على التجارة وطرقها وبفرض الاتاوات - بل
والجزية على الإمارات والدول الإسلامية ! ..

وبعد عزل مصر عن الشرق ، بدأت محاولات غزوها والسيطرة
عليها .

ولقد استعانوا على ذلك بضعف النظام الفاطمي الحاكم ،
والذى عزلته مذهبته «الإسماعيلية - الباطنية » عن جمهور
الأمة « السني » . وبصراعات جنودها - ذوى الأصول المتعددة
والغريبة - وبصراعات وزرائها « شاور » (٥٦٤ هـ - ١١٦٩ م)
و« ضرغام » (٥٥٩ هـ - ١١٦٤ م) ! .. حتى لقد أقامت
حامية صليبية على أبواب القاهرة . ومعها مفاتيح أبواب
أسوارها ؟! .. وصالح الوزير « شاور » الصليبيين على جزية
مقدارها مليون دينار ! ..

صورة من مدينة القدس في القرن الثالث عشر الهجري - التاسع عشر الميلادي





وكتب « غليوم الصوري » ، مصورا سيطرة الصليبيين على اقتصاديات الشرق يومئذ فقال :

« كانت خزائن مصر تحت تصرفنا ، وسلطنة أورشليم كانت آمنة من جهة البر المصري . ومسلك البحر كان حرا . . كما أن موانئ أقاليم مصر كلها كانت مفتوحة لقبول مراكبنا . وتجارها كانوا ينتقلون إلى موانئ بلادنا غلات أراضيها ، وهذه المتاجر كانت كلية الفوائد لنا . . . وكانت الجزية والخراجات تُوفى لنا بانتظام » ! . . .





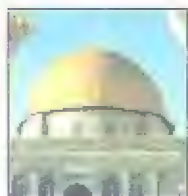
استنهاض روح المقاومة

لكن التحدي ، الذي اقتطع الأرض .. ومزق وحدة الوطن ..
ونهب الثروة .. وسيطر على الاقتصاد .. قد استنفذ روح
المقاومة في الأمة .

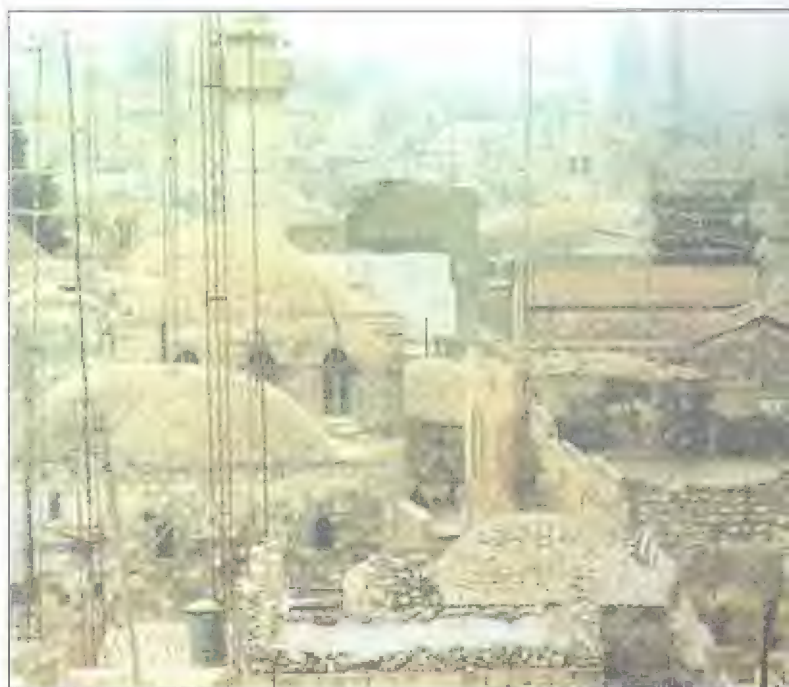
فبدأت « دول الفروسية الإسلامية » تواجه إمارات فرسان
الإقطاع الصليبيين ... « الدولة الزنكية » التي قادها عماد
الدين زنكي (٥٦٥ هـ - ١١٧٠ م) - في « الموصل » - والتي
حررت شمال العراق وسوريا ، وأزالت « كونتية الرها » (٥٣٩
هـ - ١١٤٥ م) - أي بعد نحو نصف قرن من بداية الحملة
الصليبية .. ثم انتقلت بعاصمتها - في عهد نور الدين الشهيد
(٥١١ - ٥٦٩ هـ - ١١١٨ - ١١٧٤ م) - إلى مدينة « حلب »
لتزيد الضغط على الكيانات الصليبية .. ولتبدأ صفحة من
الصراع « الحربي - والسياسي » بين الفريقين على مصر !

نور الدين يريد الانحياز بها ، ليحكم وإياها من الجنوب -
 طوق الحصار حول النكبان الصليبي ، لزيادة الضغط عليه من
 الشمال والشرق والغرب والجنوب ، تاركاً أمامه موانئ الشاطئ
 الشامي للبحر المتوسط . ليرحل عنها كما جاء منها .
 والصليبيون يريدون مصر . لمنع طاقاتها عن أن تصب في
 الصراع ضدهم . ولتظل عازلاً عن مende المغرب والأندلس .
 وللحيلولة دون نجاح استراتيجية نور الدين . . . وغير سنوات
 (٥٥٩ - ٥٦٤ هـ ، ١١٦٣ - ١١٦٨ م) تكررت المواجهات بين
 جيوش الفريقين على أرض مصر .

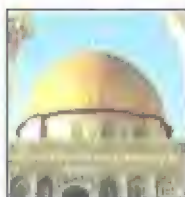




لكنها حسمت في المرة الثالثة لصالح جيش نور الدين .
 الذي قاده أسد الدين شيركوه ، الذي تولى وزارة مصر للخليفة
 الفاطمي العاضد (٥٤٤ - ٥٦٧ هـ : ١١٤٩ - ١١٧١ م) . . .
 وعندما توفي أسد الدين خلفه في القيادة والوزارة الناصر
 صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢ - ٥٨٩ هـ : ١١٣٧ - ١١٩٣ م) في
 ٢٥ جمادى الآخرة سنة ٥٦٤ م . ليفتح بذلك صفحة
 جديدة ومجيدة في تاريخ هذا الصراع . . . بل وفي سفر التاريخ
 بإطلاق ! . .







الشعر والتاريخ

كان « الشعر » في ذلك التاريخ ، هو أداة الأمة للتعبير عن « ثقافتها » و « إعلامها » ! . . . وعندما تحققت وحدة مصر والمشرق ، عبر الشعر عن دور هذا الإنجاز في تحقيق استراتيجية تحرير فلسطين . . . والتي كانت القدس رمزها المقدس . . . ف « العماد الكاتب » - وهو يهنئ أسد الدين شيركوه بانتصاره في مصر ، يذكره أن هذا الفتح هو سبيل تحرير القدس :

فتحت مصر ، وأرجو أن نصير بها عيسراً فتح بيت القدس عن كتب وعندما يهنئ نور الدين يذكره بأن شروط تحرير القدس - وهي وحدة مصر والشام - قد تحققت :

اغز الفرج فهذا وقت غزوهم واحطم جموعهم بالذابل الحطم
فملك مصر وملك الشام فد نظما في عقد عز من الإسلام مستظم

أما الشاعر ابن عساكر على بن الحسن هبة الله ، فإنه يعلن أن لا عذر عن تأخير المعركة بعد توحيد الطوق وإحكامه حول كيانات الصليبيين فيقول لنور الدين :



بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل في كل شيء
دلالة على قدرته وجلاله



الحمد لله الذي جعل في كل شيء
دلالة على قدرته وجلاله
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين

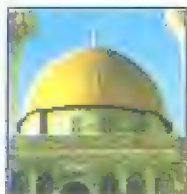
من تملح الحضارة الإسلامية والفن الإسلامي في مسجد فقه الشارقة في مدينة القوس الشريف

ولست تُعَذِّرُ في ترك الجهاد وقد أصبحت تملك من مصر إلى حلب
وصاحب الموصل الفيحاء ممثلاً لما تريد .. فبادر فجأة النوب

لكن الأجل لم يمهل نور الدين ليحقق هذه الاستراتيجية
التي تحدث عنها الشعراء .. وبعد وفاته ، وجد صلاح الدين
الأيوبي نفسه أمام « المهام العملية » اللازمة لتحقيق هذه
الاستراتيجية في « أرض الواقع » وليس فقط في شعر
الشعراء! ..

عرب القدس
تاريخ من الصمود





وجاء صلاح الدين

كانت طاقات مصر وإمكاناتها .. وهي هائلة .. قد جُست وعزلت وذبلت في حقبة الضعف الفاطمي التي امتدت نحو قرن من الزمان .. وكان على صلاح الدين إحياء وتوظيف هذه الإمكانيات للانتصار في الصراع ضد الصليبيين ..

فبعد أن طوى صفحة الخلافة الفاطمية ، وأعاد مصر إلى الولاء للخلافة العباسية ، خاض معركة كبرى وطويلة على الجبهة الفكرية والثقافية ، ليحل الفكر السنّي محل المذهبية «الاسماعيلية - الباطنية» .. فيبدأ إقامة «المدارس السنّية» : «الناصرية» .. و«القمحية» .. و«السيوفية» .. إلخ .. الخ .. والتي بنى منها في عهده ست مدارس ، كانت كل منها مؤسسة ضخمة وجامعة .. حتى يُصِف الرحالة ابن جبير (٥٤٠ - ٦١٤ هـ ، ١١٤٥ - ١٢١٧ م) بناء إحداها - «الناصرية» - فيقول :

إنها مدرسة لم يعمر بهذه البلاد مثلها ، لا أوسع مساحة .
ولا أحفل بناء ، يخيل من يتطوَّف عليها أنها بلد مستقلة
بذاته ، وبإزائها الحمام ، إلى غير ذلك من مرافقها . . .

ويحكى عن سخاء صلاح الدين في الإنفاق عليها . . وقوله
للقائم على عمارتها : « زد احتفالا وتأنقا ، وعلينا القيام بمؤنة
ذلك كله » ! . . . ولقد ملأ الفكر السني لهذه المدارس - التي
كانت تدرس مذاهب السنة الأربعة - الفروع الفكرية التي كان
ملوك المذهب « الإسماعيلي - الباطني » . . . محل الانتماء
الفكري بين « الأمة » و « الدولة » محل « القطيعة والانقسام . .
الأمر الذي مبلل إحياء وازدهار المنطقة المصرية في هذا
الزمان .

ولقد بلغ من التزام صلاح الدين ونسبده في هذا الأمر .
الحدا الذي أغلق فيه الأهر - ذي المناهج التسعة - خمس
سنوات . حتى تغيرت متاهجه إلى الفكرية السنية . . ومع
« الدولة » والعلم والفكر والتعليم تحول القضاء إلى المذاهب
السنة أيضا .

● وعلى الجبهة الاقتصادية ، حل « الإقطاع الخريبي » في
استثمار الأرض الزراعية محل نظام « الالتزام » . . وهو
الذي يمكن أن نسميه ، بلغة عصرنا : « اقتصاد الحرب
والمعركة » . . وبلغه الفقه الإسلامي : النظام الشبيه « بوقف
الأرض على الجهاد في سبيل الله » ! . . فتمسست أرض
مصر إلى ثلاث وعشرين منطقة ووحدة اقتصادية أصبحت
إقطاعات مخصصة للإنفاق على هرق وأمراء الأجناد . . .



فتم الاستنفار للطاقت الاقتصادية كما تم الإحياء على
الجهة الفكرية .. وتحقيق الولاء والانتماء بين المحكومين
والحكام .

• وفي التسهيد للمعارك الفاصلة . بإحكام الطوق حول
الصليبية المزروعة قسرا في وطن الأمة ، بدأ صلاح الدين
أولى غزواته ضد الحاميات الصليبية في « حصن الكرك » ،
جنوبي فلسطين ، لتوسيع وتأمين الطريق الذي يربط مصر
بالمشرق ، بإحكام لطوق الحصار حول الكيانات الصليبية ..

وفي سبيل تحقيق ذلك قاد صلاح الدين أربع غزوات في
الأعوام ٥٦٨ و ٥٧٩ و ٥٨٠ و ٥٨٣ هـ ..

• ولإعادة الوحدة إلى الجهة الشرقية ، التي أصابها التفكك
بموت نور الدين الشهيد ، عقد صلاح الدين تحالفا بين أمراء
« الموصل » و « حلب » و « الجزيرة » و « أربيل » و « كيفا » و
« ماردين » و « قونية » و « أرمينيا » وشارك معهم في هذا
التحالف الذي نص على أن لا يحارب بعضهم بعضا .. ولم
ينترد في استخدام القوة ضد من خرج على هذا الاتفاق -
كما صنع مع أمير « حلب » (٥٧٩ هـ - ١١٨٣ م) - .

• وتخصيصا للجهة العامة ، المكرسة كل طاقتها وإمكاناتها
وجميع ثغورها لتحقيق استراتيجيته التحريرية ، بلغ صلاح
الدين حد التشدد . ضد كل الفكريات والفلسفات
والأيديولوجيات المخالفة للنسبة - عقيدة الأغلبية -
والأيديولوجيتها - فقصي على دعاة « الإسماعيلية - الباطنية » ،

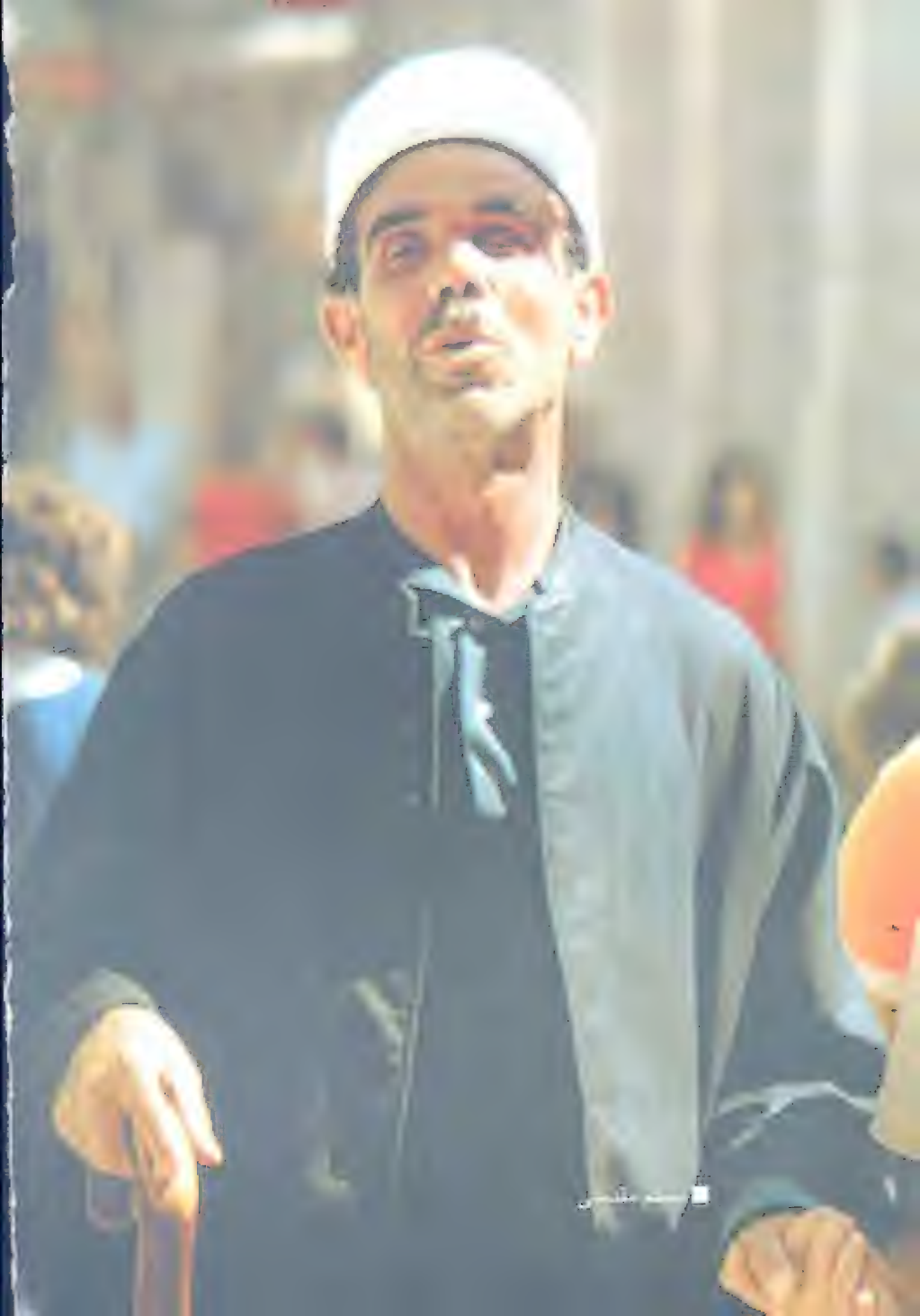


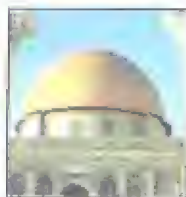
وأمر ابنه - حاكم حلب - بإعدام فيلسوف - «الغنوصية»
الإشراقية «السهروزي» المقتول - (٥٤٩ - ٥٨٧ هـ - ١١٥٤ م)
لما أثاره في مناظراته مع الفقهاء من سبلة فكرية
كانت تخلق الأوراق بين الحضارات والشفافيات فتضع
«زادشت» و «أفلاطون» مع نبي الإسلام ﷺ وتخلق محاورات
أفلاطون مع الوعي الكلداني بالقرآن الكريم!.

الأمر الذي يبيع الجبهة الفكرية باعتماد منهاج «الأشياء
والنظائر»، في وقت يحتاج فيه الصراع مع الآخر إلى اعتماد
منهاج «الفروق» للتمييز عن الآخر، ولعل الرجوع بالكرهية
له، كشرط من شروط «التعبئة» والانتصار.

مسجد قبة
الصخرة







النصر في «حطين»

وعبر هذه الإنجازات ، السياسية .. والفكرية .. والاقتصادية .. والعسكرية ، قاد صلاح الدين الأيوبي جيشه ، ذلك الذي أقام مع قاداته وجنوده علاقة أبوية حسيمة ، إلى المعركة الكبرى التي غيرت اتجاه الخط البياني لنصران مع الصليبيين - معركة «حطين» - في ٢٢ ربيع الثاني سنة ٥٨٣هـ - أول يوليو سنة ١١٨٧ م .. أي بعد تسعين عاماً من بدء اجتياح الصليبيين لديرار الإسلام ! ..

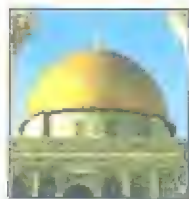
على أرض «حطين» - في فلسطين - حشد الصليبيون ثلاثة وستين ألفاً من الفرسان والمشاة .. وأدرك الفريقتان أن المعركة مصيرية - بلغة عصرنا - .. وبلغت «ابن شداد» (٦١٣ - ٦٨٤هـ ١٢١٧ - ١٢٨٥ م) - مؤرخ ذلك العصر : فلقد « علمت كل طائفة أن المكسورة منها مدحورة الجنس معذومة النفس » .. فحطين هي معركة القدس ، التي هي رمز كل الصراع ! ..

وانضمت إلى حرارة صيف يوليو : حرارة النيران التي أشعلها جيش صلاح الدين في الحشائش القريبة من الحشد الصليبي . . . وأيضا الحرارة المتولدة من حدة الصراع واللاحم المتقاتلين . . . حتى ليتحدث " مكسيموس موروند " عن النبال المتطايرة في الهواء ، تطير مثل طيران العصافير ، محرقة بحرارتها ! وماء السيوف - (أي الدماء !) - حامد في وسط المعركة ، يغطي الأرض كمياه المطر ! . . .

وعندما سقطت حبيسة الملك الصليبي " جاي ليرجول " ، مؤذنة بهزيمة جيشه ، ترجل صلاح الدين الأيوبي على ظهر حواده وسجد ، وقبل الأرض شكريا لله على هذا الانتصار ، الذي فتح له الطريق إلى القدس الشريف !

وفي وصف هذا الذي حدث يوم حطين ، يقول المؤرخ " ابن شداد " : ٥٩٩ - ٦٦٤ هـ - ١٢١٢ - ١٢٦٧ م : " (إدع) شاهد القتلى - الفرنج - قال : ما هناك أسير ! . . . ومن عاب الأسرى قال : ما هناك قتل ! ومنذ أنه استولى الفرنج على ساحل الشام ما شفى المسلمين يوم كيوم حطين " !

● وبعد جولات حرر فيها صلاح الدين العشرات من القرى والمدن والقلاع والحصون . . . تقدم جيشه فحاصر القدس الشريف . . . فهي رمز كل الصراع . . . وبها يذكر الشعر - إعلام العصر - عند كل انتصار . . . وعقب كل معركة - حتى ليقول



«العماد الكاتب» لصلاح الدين ، عقب انتصاره في «غزة» :
 غزوا عقر دار المشركين بـ «غزة» جهاراً ، وطرف الشرك خزيان مطرق
 وهيئجت للبيت المقدس لوعة يطول بها منه إليك التشوق
 هو البيت إن تفتحته ، والله فاعل فما بعده باب من الشام مغلق !
 نعم ... كانت القدس هي «الرمز» ... و «القصص» ...
 و «المفتاح» ! ...

■ ملالة فلسطينية
 من القدس تحمل
 الأمل بالانتصار







فتح القدس

وفي يوم الأحد ٢٠ سبتمبر سنة ١١٨٧ م بدأ حصار صلاح الدين لأسوار المدينة المقدسة . وعسكر في ذات المكان الذي اقتحمها سنة الصليبيون سنة ١٠٩٩ . وأخذ يصيق عليها الخناق حتى يجبر حامتها الصليبية - المألفة من ألفا - على التسليم صلحا ، كي لا تتعرض مقدسات المدينة للدمار . وكان الصليبيون - في المفاوضات إبان هذا الحصار - يهددون بعركة يائسة يدمرون فيها هذه المقدسات - فقام صلاح الدين :

أنا إذا ينسأ من النجاة من سيوف جنك فاتنا !

سنهدم المعبد ، والقصر الملوكي ، ونقض حجارها حتى الأساسات !
وسنحرق الامتعة والنقائس والكوز والأموال الموجودة في حرائق المدينة !

وسنهدم جامع عمر ، والصخرة المقدسة ، اللذين هما موضوع ديانتك !

وسنقتل ما لدينا من أسرى المسلمين المحبوسين في سجون
المدينة منذ سنوات ، وعدددهم خمسة الاف أسير !
وسندبح نساءنا واولادنا بأيدينا حتى لا يقعوا في أسر المسلمين !
وبعد أن تصير المدينة المقدسة كيانا من الرديم ، ومدفنا واسعا
سنخرج لقتال قتال اليانس من الحياة ، الذي لا أمل لديه في النجاة ..
فامنعنا الأمان ، نسلّم المدينة دون أن يمسها أحد من انطرفين
بسوء ! ..

فاستجاب صلاح الدين . ومنحهم الأمان . فخرج الغزاة
الاثنتين من المدينة بما يملكون . وبقي فيها أبناءها من المسلمين
والنصارى الشرقيين . وتحجرت القدس في ذكرى إسرائ الرسول
ﷺ ، من مكة إليها - في ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ - ٢ أكتوبر
سنة ١١٨٧ م ، دون إراقة قطرة دم واحدة . . . وهي التي
سبحت فيها خيول الصليبيين بدماء المسلمين . بمسجد عمر قبل
تسعين عاما ؟ !

● وبعد فتح القدس : : لم يبق - كما قال الشاعر - « باب من
الشام مغلق » ! ..

لكن أوروبا لم تتراجع عن تجهيز الجيوش لمحاربة صلاح
الدين . . حتى لقد فرضت حكوماتها على شعوبها قسرية
قتال سموها «عشر صلاح الدين » ؟ ! فجاءت جيوش
وأساطيل إنجلترا وفرنسا ، بل وجاء ملوكهما . . واستمر
النضال سنوات . . حتى انتهى مرحليا بالهدنة بين صلاح
الدين وريتشارد قلب الأسد (١١٥٧ - ١١٩٩ م) ملك
إنجلترا . . لمدة ثلاث سنوات وثلاثة أشهر - في شعبان سنة
٥٨٨ هـ - سبتمبر سنة ١١٩٢ م . .

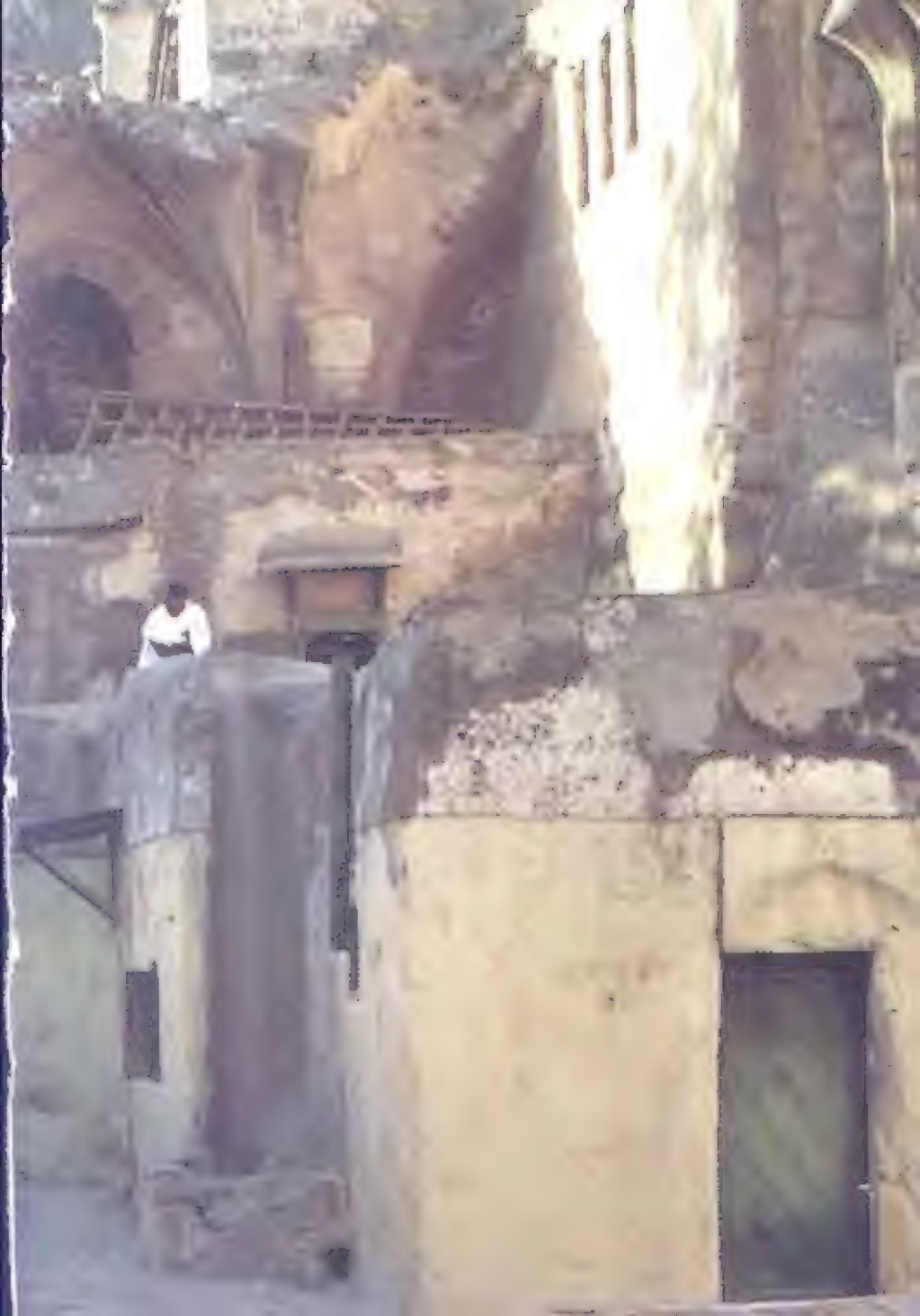


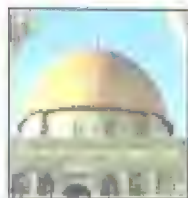
• وأنفق صلاح الدين أوقات السلم في تعمير ما خربته الحرب ، وبناء ما هدمه الصليبيون . . فأقام في ميادين العمران العلمي والفكري والتعليمي والاقتصادي ركائز الإحياء التي تنمي روح الانتماء وتزكي عوامل التقدم على درب استكمالات التحرير لما بقي في الأبرص من حصون وقلاع . . وفي إعمار القدس كان صلاح الدين يحمل بنفسه الأحجار مع البنائين ! . .

ثم سار إلى دمشق . . وفيها مرض بـ « الحمى الصفراوية » . . وتوفي في ٢٦ صفر سنة ٥٨٩ م مارس سنة ١١٩٣ . . ليدخل ، لا في « تاريخ » الأمة وحده ، بل وفي « ضميرها » ، كواحد من أعظم عظماء الإسلام وأبرز أبطال فتوحاته منذ عصر صدر الإسلام وحتى هذا التاريخ .

يدوية من القدس







وفي العصر الحديث

موقفان من الحضارة والانسان

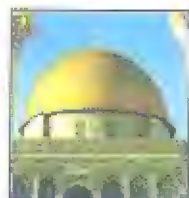
إن الحريق الذي أشعلته إسرائيل بالمسجد الأقصى ١٩٦٩ م وما سبقه وما لحقه من انتهاكات ضد المقدسات الإسلامية والمسيحية في الأراضي المقدسة ، ومن تهويد للقدس واحتكاك لها . منذ عدوان يونيو سنة ١٩٦٧ م . هي أمور يجب أن تعالج بغير ما درج على معالجتها به الكثيرون .

فبالنسبة لنا . يجب أن تتحول إلى دليل حديد الرهنة على أن صلتنا بالحضارة ، وأصالة موقفنا على أرضها هو أمر لا يمكن أن تدانينا فيه الحركة الصهيونية والصهيونيون . . فاحضارة ليست تفوقنا في «التكنولوجيا» فحسب . وإنما هي قبل كل شيء ، إيمان بالإنسانيات ، وعشق للإنسانية . واحترام لمقدسات الإنسان .

وبالنسبة للرأى العام العالمى ، يجب أن تتحول إلى مثارة
يحصى فى صونها موقفين من المقدسات . . موقف العرب الذين
احتفظوا اليهود ببقايا حائط متهدم ، وحافظوا عليه ، وخلوا
بينهم وبينه لأكثر من ثلاثة عشر قرناً من الزمان . . وموقف
الدولة الصهيونية التى أخذت تعبت بمقدسات الإسلام
والمسيحية ، وأعملت آلات الحفر تحت جدران المجد
الأقصى . ثم أشعلت النار فيه . مخدرة أن أتاح لها العدوان
الاستعماري بسط سيطرتها على هذه المقدسات

وبالنسبة لرجل الفكر العربى ، ورجل الدبلوماسية ، يجب أن
تكون باعداً على التنقيب فى تراثنا وتاريخنا عن الوثائق والمواقف
التي تحول هذه المعاني إلى متاح يعيشه وجدان أمتنا ، وإلى حقائق
صلبة وعنيدة يلمسها الرأى العام العالمى على اختلاف المستويات
واحضارات .

ففى الوقت الذى افتتح فيه العرب المسلمون عهد حكمهم
للمدينة المقدسة بتلك الوثيقة التى أعطاها عمر بن الخطاب
لأهلها ، والتي عرفت فى التاريخ باسم « العهدة العمرية »
والتي قال فيها : إنه قد « أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ،
وكنائسهم وصلبانهم . وسقيسها ويبيئها وسائر ملتها . إنه لا
سكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا
من صليبهم . ولا من شئ من أموالهم ، ولا يكرهون على



دينهم ، ولا بضار أحد منهم ^(١) . . . وهو العهد الذي حافظ على هذه الروح ، إجمالاً وبقدر ما سمحت به طبيعة تلك القرون . وبدرجة لم تبلغها حصارة من الحصارات الأخرى .

بينما كان ذلك هو موقف العرب الحضاري من مقدسات الإنسان . أي إنسان . شهدنا أمراء الإقطاع اللاتين ، الذي زحفوا على الشرق من أوروبا في موكب استعماري استيطاني تغلفه دعوات دينية زائفة ومحسومة ، جاهدت حتى تخفى الأطماع التوسعية خلف الصليب والإنجيل . . . شهدنا هذا الزحف الذي عاشت حيوشه بالقدس فرابة التسعين عاماً (٤٩٢ - ٥٨٣ هـ - ١٠٩٩ - ١١٨٧ م) . والذي كان بمثابة « البروفة » للغزو الصهيوني المعاصر لهذه البلاد . شهدناهم يقفون من المقدسات موقفاً هو النقيض تماماً من الموقف الحضاري الإنساني الذي وقفه العرب المسلمون .

فلقد توجهوا إلى القدس في ٧ يونيو سنة ١٠٩٩ ودخلوها في ١٥ يوليو من نفس العام ٢١ شعبان سنة ٤٩٢ هـ ، وأحدثوا في المسلمين بها مجزرة استمرت قائمة على قدم وساق لمدة أسبوع ، وبعد أن قتلوا في ساحة المسجد الأقصى سبعين ألفاً من الشيوخ والنساء والأطفال والعلماء والزهادين وطلاب العلم - حتى لقد « طاف الجامع من الدماء » حتى أنه تحت القناطر التي عند بابه احتقن الدم وغلا إلى حد الركب . بل إلى حد « جح الخيل ! » ، وقال « روبانوس » الراهب : . . . إن جامع عمر

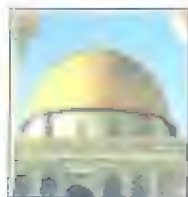
(١) د. محمد حسن هيكلي (القازوق غير) ج ١ ص ٢٥٦ - طبعة القاهرة سنة ١٣٦٤ هـ

قد استوعب من الدم المختل في كفى بحر ممتلئ !!^{١٩} حسب روايات شهود العيان من المؤرخين والرهبان الصليبيين .^{٢٠}

بعد أن صنع الصليبيون ذلك ، حولوا قبة الصخرة الإسلامية إلى كنيسة . وأخذوا يقتطعون منها الأحجار والأحجار ويبيعونها بوزنها ذهباً ، وأرسلوا الكثير من قطعها إلى «صقلية» و «القسطنطينية» ، وغيروا معالم المسجد الأقصى فحججوا محرابه بجدار ، وبنوا غربى قبلته داراً لهم ، وجعلوا فسباً منه كنيسة ، وقسموا آخر مسكنها لفرقة من فرسانهم (فرسان المعبد «الداوية») . وجعلوا ما تبقى منه مسوداً للذبح والمهمات . كما حولوا مراديه إلى اصطبلات للخيل والحيوانات !^{٢١}

وطوال الفترة التي حكموا فيها المدينة المقدسة اختلعت معالم مقدسات المسلمين ، وعندما كان يدفع الحنين والإيمان بأحد المسلمين لزيارة هذه السقاع قبيلك لذلك طريق العلاقات والصدقات التي تربطه ببعض الصليبيين . كما كان يفعل مثلاً المؤرخ «أسامة بن منقذ» (٤٨٨ - ٥٨٤ هـ - ١٠٩٥ - ١١٨٨ م) . كان حفاة الصليبيين وتعصمهم بقصد عليه خطاب الزيارة للمعالم الشائنة لهذه المقدسات . . فلقد حكى لما كيف سمع له «الداوية» يوماً يدخل الكنيسة المقامة بالمسجد الأقصى ، وعندما استقبل القبلة لبصلي هجم عليه أحد الصليبيين «فمسكني» ورد وجهي إلى الشرق ، وقال : «كذا صل !» .

(١٩) مكسيموس موروند (تاريخ الحروب المقدسة في الشرق . للخدمة حرب الصليبية)
د. وليم مكسيموس مقلوم ج ١ ص ١٧٢ ، ١٧٣ . طبعه سنة ١٨٦١ م
(٢٠) المقدس (كتاب الوصايا في أخبار الدولتين النورية والصلاحيه) ج ٢ ص ٩٠٧ ،
١١٣ . طبعه القاهرة سنة ١٢٨٨ هـ



ثم كرر ذلك مرارا كلما اتجهت بوجهي إلى القبلة ، وكان وجهه
يلعب وجسده يرتعد من مجرد رؤيته لأنسان يتوجه إلى قبلة
المؤمنين بالصلاة ١٢١

ولكن هذا التاريخ الصليبي ، والسلوك البربري لم تمنع صلاح
الدين الأيوبي (٥٣٢ - ٥٨٩ هـ - ١١٣٧ - ١١٩٣ م) ، في ٢
أكتوبر سنة ١١٨٧ م ، ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ من أن يعظم عن
أهلها وحاسبتها التي بلغت سبعين ألفا من الفرسان والمقاتلين ،
فلم يقتل منهم سوى مائتين من «فرسان المعبد»
و«الإسكارية» ، الذين اتخذوا تلك الدماء عبادة بقربون بها
إلى الله ! ، ومن أن يقر المسيحيين العرب في مدينتهم ، ويميز
بينهم وبين المستوطنين من اللاتين الغزاة . ومن أن يقر أربعة
من القساوسة على الشؤون الدينية لكنيسة القيامة ، مع
إعفائهم من الغرامة التي فرضت على المهزومين ، حتى نفد
أقام بمدينة القدس وأعمالها منهم الألف ، فسلموا وعسروا
وغرسوا ، قلهم منها مجان وقطوف ١٢٢ .

فنحن هنا أمام موقفين من الحضارة والإنسان والقدسات .
شهدتهما هذه الأرض في العصر الوسيط . موقف عربي
إسلامي . وموقف لاتيني غربي . من الأهمية بمكان أن نسلط
على جزئياتهما وتفاصيلهما والدلالات المستخلصة منهما ،
كل الضوء . لأنهما المنطلق الطبيعي والواقعي لنقطة نحن

(١) أسامة بن منقذ (كتاب الاعتبار) تحقيق: د. فليسه حتى ص ١٢٤ ، ١٣٥ ط
برستون ، أمريكا سنة ١٩٣٠ م .

(٢) كتاب الروضتين ج ٢ ص ١١٥

من هذه المقدسات في العصر الحديث ، وموقف ذلك الكيان الصهيوني الاستعماري من هذه المقدسات بعد يونيو سنة ١٩٦٧ م .

ومن حسن حظنا ، وسوء حظ الذين توهموا إسرائيل مثلاً للحضارة - مجرد أنها نجحت في بعض الجولات كشكة عسكرية ، وقوة استعمارية ضاربة - أن لدينا في هذا الباب مجموعة من « الوثائق » الحدية بكل اهتمام ، والتي يجب أن تداع . وتصل إلى أيدي رجال الدبلوماسية والإعلام ، وعقول الرأي العام ، وهي متعلقة بفترة الحكم القصيرة التي توحلت فيها منطقة سوريا الكبرى - وتمثل فلسطين جزءها الجنوبي - مع مصر ، تحت حكم محمد علي باشا فيما بين سنتي (١٨٣١ و ١٨٤١ م) .

والجهة التي أشرفت على جمع هذه الوثائق وضبطها وفهرستها ونشرها هي (الجامعة الأمريكية) في بيروت ، وكلية الآداب والعلوم بها على وجه التحديد .

ومن بين أكثر من أربعة آلاف وثيقة تتعلق بسوريا في هذه الفترة . وتسجل أحداثها السياسية والاجتماعية والاقتصادية . ضمت المجلدان الخمسة الأولى من هذا الكتاب - « الأصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا » - الوثائق السياسية ، وهي أكثر من ستمائة وثيقة . يهمن منها هنا سبع وثائق تلتى القضاء على موقف السلطة المصرية العربية في ذلك الحين من مسألتين قديمتين جديدتين عاشتهما ولا تزال تعيشهما هذه البلاد :

■ حريق المسجد الأقصى ٧٠ جمادى ثاني سنة ١٣٨٩ هـ ٢١ أغسطس سنة ١٩٦٩ م
طلبة المؤامرات الصهيونية ضد المقدسات الإسلامية



الأولى: تتعلق بالموقف من المسيحيين واليهود في الأراضي المقدسة، وحرية التدين والأديان، والمساواة بين المواطنين بصرف النظر عن الملة والاعتقاد.

والثانية: خاصة باليقظة المبكرة للأحلام المبكرة التي سعى لتحقيقها اليهود العنصريون في ذلك الحين، وقبل قيام الحركة الصهيونية الحديثة على يد «ثيودور هرتزل» بأكثر من سبعين عاماً.

الحرية والمساواة للأديان

وفي هذا الصدد نلتقي بأربعة من هذه الوثائق الهامة التي تكون دليلاً مادياً على أن هذه الدولة العنصرية العربية الشابة، إنما كانت تمثل القيم الحضارية الأصيلة المستكنة في أعماق هذا الشعب الأصيل.

(١) ففي السنة الأولى لقيام هذه السلطنة الجديدة (١٨٣١م) أصدر إبراهيم باشا (١٢٠٤ - ١٢٦٤ هـ - ١٧٩٠ - ١٨٤٨ م)، الذي كان يمهّر مراسيمه بصفته «والي جدة ومباري معسكر عكا» أصدر في ١٠ رجب سنة ١٢٤٧ هـ مرسوماً وجهه إلى «مستلم القدس» (حاكمها)، وشيخ المسجد الأقصى، والمنقش: «ونقيب الأشراف، وسائر العلماء والخفباء والوجود». يأمر فيه بإلغاء كافة الضرائب والأتاوات التي كان الأتراك العثمانيون قد فرضوها على أديرة المسيحيين ومعابد اليهود، وكذلك الأتاوات والمكوس التي كانت تحصل من زوار هذه



المقدسات الذين يحججون إليها من خارج البلاد ، كما أصدر
أوامره تلك أيضا إلى الحكام القائمين على المناطق التي يمر بها
هؤلاء الحجاج والزوار . وجاء في هذه الوثيقة أنه « لأجل
إجراء الوفاق بين الناس ، صدرت أوامرنإ إلى جميع «المسلمين»
الذين في «آيالة» ألوية «صيدا» وألوية «القدس الشريف»
و«نابلس» و«حزين» برفع هذه الأعشار من جميع الطرقات
والمنازل بوجه العموم . فلذلك قد صدرت إرادتنا الآن برفع
الترتيبات التي على جميع المعابد والأديرة ، وجميع طوائف
النصارى الكاثنة بالقدس الشريف إفرنج وروم وأرمين وقبط .
وكذلك العوائد المرتبة على المنة الموسوية ، هاتما وحدينا . وتلك
المرتبات إن كانت من فرائض وعبوديات ومعتادات عائدة إلى
خزينة الولاية لوزراء العظام ، أو للقضاة ، أو للمسلمين ، أو
لأرباب الوظائف وذوي التكلم ، أو للمكتاتب والمساشرين ،
فجميعها أمرنا برفعها وإبطالها ومنعها » .

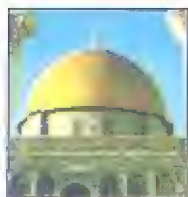
كما أمر في نفس المرسوم بإلغاء الضريبة التي كانت تحصل
على دخول كتبة القيادة ، وعلى الاستحمام والتعبد في
«الموردة الشريف» بتهر الأردن ، وذلك «لأن هذه المرتبات
جميعها لا توافق وجهها شرعيا»^(١)

(ب) وفي نفس العام ، علم إبراهيم باشا أن رجال الجسر
في مدينة « يافا » يعاملون الحجاج والزوار الذاهبين إلى القدس
كما يعاملون التجار . فافتحون صناديقهم ويحصبون أمتعتهم ،

(١) (الأهول العربية للشيخ سورة في عهد محمد علي - ج ١) جميعه ومقتطفه : ٥ - ١٠٠
مجلد الأول من ٨٧ - ٨٩ . نسخة كلية الآداب والعلوم جامعة الأمريكية بيروت

ويقدرون عليها الضرائب كما يفعلون مع التجار ، فأصدر في ١١ شوال سنة ١٢٤٧ هـ مرسوماً يلغى ذلك ويقول فيه :
 "موجهاً الأمر إلى السلطات الإدارية والجسركية " بيافاً : " إنه
 " يلزم بوصول مرسومنا هذا إليكم ، من الآن وصاعداً ،
 وتعاملوهم حكم العوائد القديمة ، بعدم فتح صناديق الزوار
 وتفتيش محتاجهم ، ولا يؤخذ منهم جمر كـ ، إلا ما كان مقرر
 في السابق ، من دون زيادة . . . ")

(جـ) وفي العام التالي (١٨٣٢ م) أصدر إبراهيم باشا
 مرسوماً يؤكد فيه ضرورة الحزم في تنفيذ المرسوم الذي سبق أن
 ألغى به الضرائب والأتاوات التي كانت تحصل من الأديرة
 المسيحية والمعابد اليهودية ، وحتى يضمن واقعة التنفيذ ،
 صسن هذا المرسوم الجديد تحديد حيزنة الدولة باعتبارها الجهة
 التي تصرف منها مرتبات الموظفين الذين كانوا يأخذون
 مرتباتهم قديماً من هذه الأديرة والمعابد ، وهو المرسوم الذي صدر
 في ١٩ ذي الحجة سنة ١٢٤٧ م ، والذي خاطب فيه كل
 مستويات المسئولين بالقدس قائلاً : " يحيطون علماً : إنه قبل
 الآن أصدرنا أمراً برفع كافة العوائد والمرتبات والأغفار المجعولة
 على أديرة طوائف العيسوية وطائفة الموسوية ، وأن من الآن
 وصاعداً لا يتبصر منها شيء ، ولا جل عدم عذر أصحاب
 المرتبات في أمر تعنتهم ، صدر أمرنا بأن يتحرروا دفتر عن كامل



المرتببات بالتوضيح ، اسم باسم . لأجل صرف المرتببات المذكورة إلى أربابها من خزينتنا^(١) .

(د) وفي مرسوم رابع أصدره إبراهيم باشا سنة ١٨٣٢ (٣ محرم سنة ١٢٤٨ هـ) قرر حكم السجن لكل من يخالف تنفيذ هذه المراسيم السابق ذكرها ، وقال فيه : « والآن ، لأجل تأكيد مرسومنا السابق ، نأمر الختم ، بأن لا أحد يمد يده لأخذ نصف فضة واحدة من المرتببات والأغفار المذكورة . وإن تجاسر أحد أخذ بارة القرد ، إن كان من أعفار أو من عوائد أو من شيء من هذا ، حالاً يقع عليه القبض ، ويتوضع في السجن ، ويعرض عنه لمسامعنا . فينبغي أن كل منكم يكون على حذر^(٢) . »

وهذه المراسيم الأربعة التي حفظتها لنا هذه الوثائق ، دليل يجسد موقف العرب والمسلمين من الحريات الدينية ، واحترام المقدسات الروحية ، والمساواة الخلقية ، مادياً ومعنوياً ، بين معتنقي كل الأديان في الأرض المقدسة في ذلك الحين .

اليقظة للمخطط الصهيوني القديم

يقول الكاتب الصهيوني « إيلي ليفي أبو عسل » : إن الصهيونية دعوة أقدم بكثير ، من حيث النشأة ، من ذلك الطور الحديث الذي شهدته في نهاية القرن التاسع عشر على يد « تيودور هرتزل » (١٨٦٠ - ١٩٠٤ م) . . . وهو يقسم

(١) المصدر السابق . المجلد الأول - ص ١٣١ ، ١٣٢ .

(٢) المصدر السابق . المجلد الثاني ، ص ٤٠٤ .

مراحلها التاريخية إلى أربعة مراحل : الأولى : في زمن النبوّة ، والثانية : في الزمن السابق لهرنزل ، والثالثة : في عهد هرنزل ، والرابعة : من بعد عهد هيلفر سنة ١٩١٧ م^(١١) .
والمرق يعينا من وجهة النظر هذه ، تلك الحقيقة التي تقول : إن قيام الحركة الصهيونية سنة ١٨٩٧ م لم يكن سوى من أظفار هذا النشاط الذي مارسه منذ قدم تلك التيارات جمع من المعصرين في صفوف اليهود ، وبالتالي هناك علينا أن نتحدث عن تاريخه السياسي والقومي عن حدود ذلك النشاط وذلك المحاولات المتعلقة بالصراع في الشرق ، ونسحق بالمثل ، وإن تحدث كذلك عن نزوة أهل هذا النشاط ، وموقف أنظمة حكمه العربية سنة ١٩١٧ م ، لتجد صفحة من صفحات تلك الصراع القديم والحديث فيما يشاهد من الصهيونية .

وفي هذه الوثائق التي نتجده فيها مدار لهذه الصراعات : سنجد مواقف ثلاث جسيمة ثلاث محاورات دام بها اليهود ليستقروا على أجزاء من مدينة القدس ، ويوسّع دائرة ممتلكاتهم في المدينة المقدسة ، وذلك خلال السنوات العشر (١٨٣١ - ١٨٤١ م) ، كما لنجد عذوق يقظ من الحكماء المعصرين العربيين بوملح ، مثل في فصل الاستجابة لهذه المحاولات .

(١١) ففي سنة ١٨٣٦ م حاول الأمريكيان بواسطة اتصالهم في القدس « السنيور فيلدن » أن يشتروا قطعة أرض بالقرب من زاوية النبي داود ، واستعملوا في ذلك أحد زعمانهم ،

(١١) بقطة العالم اليهودي (ص ١٧١ ، ١٧٢) - مجلة الشرق



واسمه "جرجيس هوتين" ، وكانت حججهم في ذلك أنهم يريدون إقامة مذبح للموتى الأمريكان!

وكانت السلطة المصرية العربية أمرت بتكوين لجنة لمعانة المكان ، ولتقرير « جواز الاستجابة لهذه الرغبة من عدمه » ، وبالفعل تكونت لجنة ثلاثية فيها مندوب عن قاضي القدس هو « الشيخ محمد راغب أفندي الخالدي » ، ومندوب عن حاكم المدينة : هو « أمين آغا » وأحد المختصين في فن المعمار ، وهو « الحاج عثمان » ، معمار باشي « وقدمت تقريراً استند إليه قاضي القدس في رفض الاستجابة لطلب الأمريكان . لأنهم ليس لهم سابق تلك ولا حقوق قديمة في المدينة . ومن ثم لا يجب : « إخذاث » هذا الأمر الذي يريدون ^(١) .

(ب) وفي العام التالي (١٨٣٧ م / ١٢٥٣ هـ) حدثت محاولة صريحة وبالعلة حداً كبيراً من الجراة والسفور من قبل اليهود الأوروبيين لشراء أرض في المدينة المقدسة ، وفي فلسطين عموماً ، لا للسكنى فقط ، وإنما للزراعة ، والإنتاج الاقتصادي ، وتربية الحيوانات ، وإقامة بعض الصناعات .

ويومها كانت لليهود الأوروبيين في القدس « طائفة » . تسميها الوثيقة التي نتحدث عنها (طائفة السكناج) وهم من نعرفهم اليوم باسم « الشكناز » أو « الإشكيناز » فتقدم وكيل هذه الطائفة يطلب الترخيص لها « بمشترى الأملاك والأراضي للزراعة ، وتعاطى الحرت والزرع . وتعاطى البيع والشراء . وبيع

(١) الأصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا . المجلد الثالث والرابع

ص ٣١ ، ٣٠ . وبارخ هذه الوثيقة هو ٢٥ محرم سنة ١٢٥٢ هـ



الأغنام والأبقار ، وتعاطى مصلح ومعاصر . . . فأحالت
السلطة المصرية العربية هذا الطلب إلى « المجلس الاستشاري »
لمدينة القدس ، الذي عقد بدوره اجتماعا ، ناقش فيه
الموضوع ، واتخذ قراره برفض هذا الطلب الشاذ والغريب الذي
يريد به اليهود الأوروبيون (الأجانب) أن يحصلوا على امتيازات
في فلسطين غير ما يتمتع بها سواهم من التجار الأجانب
بالبلاط . وقال المجلس في الجرنال (محضر الاجتماع الذي
سجل مناقشاته) : «إن هذه الطلبات ما سبق لها مثال » ،
ورفض فكرة تملك هؤلاء الأجانب أرض البلاد من حيث
المبدأ ، ويشكل مطلق « حيث أراضي تلك الديار مبيوة وقفية »
أي ملكية عامة للدولة ومرافقها ، « فالتماسهم بذلك لا يوافق
الشريعة » . . وفي نفس الوقت قرر المجلس أن حقوق هؤلاء
اليهود الأوروبيين لا تتعدى حقوق أمثالهم من التجار الأجانب
الذين يتمتعون باخربة في ممارسة نشاطهم المشروع بالبلاد ،
فمن حقهم « تعاطى البيع والشراء بالتجارة التي يجلبوها من
بلادهم ، من أنواع التجارة ، حكم أمثالهم الذميين في السوق
بأن هذه أعمال يتعاطونها الآن . فما أحد يمانعهم بها » .

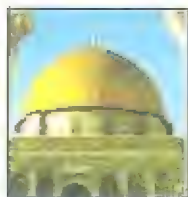
وبناء على رأى المجلس هذا قررت الحكومة رفض طلب وكيل
طائفة « اليهود السكناج » . واعتبرت أن « الذي يلبس يمينه غير
موافق الوجه الشرعى ، وأما تعاطيهم البيع والشراء بالسوق .
قياس أمثالهم الذميين ، فهذا ليس لهم معارضة به » .

وأهمية هذه الوثيقة ليست في حاجة إلى تأكيد ، إذ أن الشائع في دراساتنا لتاريخ النشاط الصهيوني في فلسطين ، أن المحاولات المنظمة لانتزاع أرض البلاد من أصحابها وتمليكها للصهاينة إنما بدأت عقب تأسيس الحركة الصهيونية الحديثة في سنة ١٨٩٧ م ، على يد البارون الصهيوني « أدولف دي روتشيلد » الذي أقام سنة ١٩٠٠ م (الجمعية اليهودية لاستعمار أراضي فلسطين) ، ثم بعد قرار المؤتمر الصهيوني الذي انعقد في « لاهاي » سنة ١٩٠٨ م بتأسيس « شركة يهودية للأراضي الفلسطينية » .

وإذا كانت بعض الدراسات قد اهتمت بإبراز ذلك الطلب الذي تقدم به المليونير اليهودي الإنجليزي « موسى حاييم مونتفيور » - الذي تزعم النشاط الصهيوني قبل هرتزل - إلى محمد علي باشا سنة ١٨٣٩ م طالباً منه مئة مائة أومدائي قرية فلسطينية لمدة خمسين عاماً ، معقاة من أية ضريبة ، لكي يشق عليها شركة « تتولى زراعة الأرض » ، وتشجع أبناء ديسا (اليهود) في أوروبا على العودة إلى فلسطين ، وفتحت في نظير ربح يتراوح بين ١٥٪ و ٢٥٪ يدفع سنوياً محمد علي^(١) .

إذا كانت بعض الدراسات قد أبرزت هذه المحاولة التي تعود إلى سنة ١٨٣٩ م ، والتي رفضها محمد علي ، فإن المحاولة التي حدثت عنها الوثيقة التي أشرنا إليها تحكي عن مشروع صهيوني

(١) د محمد عبادة (إسرائيل ، هل هي سامية ؟) ص ٩٩ - ١٠١ طبعه القاهرة



سابق على محاولة «مونتفيور» وصادر من اليهود الأوروبيين الغرباء عن أرض فلسطين^(١).

(ج) وفي سنة (١٨٤٠ م ١٢٥٦ هـ) كانت لليهود محاولة تتعلق بأسطورتهم حول قصة «هيكل سليمان» ، وهي الأسطورة التي يريدون تحويلها اليوم إلى واقع على أنقاض المسجد الأقصى ، أحد ثلاثة مساجد تأتي في مقدمة مقدسات المسلمين ، ففي ذلك العام أرادوا توسيع دائرة «حقوقهم» بجوار هذا المسجد ، وهي الحقوق الدينية المتمثلة في «حائط المبكى» ، فتقدموا بطلب يريدون إجراء عمارة في هذا المكان تحت ستار «تبليط» مساحة من الأرض المجاورة لهذا الحائط .

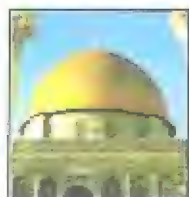
واجتمع «المجلس الاستشاري» للمدينة المقدسة ونظر الطلب ، وقرر رفض الاستجابة له ، وجاء في الوثيقة التي أصدرتها السلطات المصرية العربية بهذا الخصوص : «إنه حيث قد اتضح من صورة مذاكرة مجلس شورى القدس الشريف بأن المثل المستدعين تبليطه اليهود هو ملاصق إلى حائط الحرم الشريف ، وإلى محل ربط البراق ، وهو كائن داخل وقفية حضرة «أبو مدين» - (قدس سره) - وما سبق لليهود تعمير هكذا أشياء بالمحل المرقوم ، وجد أنه غير جائز شرعاً ، فمن ثم لا تحصل المساعدة لليهود بتبليطه . فقط يعطى لهم الرخصة بزياراتهم على الوجه القديم»^(٢).

أي أنه في الوقت الذي كانت السلطات العربية يومئذ يقظة فيه للمشاريع التي يديرها اليهود العنصريون ، فقايلتها بالرفض

(١) وتاريخ هذه الوثيقة ، التي ترفض هذا الطلب الصهيوني ، هو ٢٤ محرم سنة ١٢٥٣ هـ.

(٢) الأصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا ، المجلد الخامس ، ص ٧٨ .

وتاريخ الوثيقة ٢٤ ربيع الأول سنة ١٣٥٦ هـ.



والإحباط ، كانت تستمسك بعرى السياسة العربية الأصلية فيما يتعلق بالتسامح الديني ، وحق معتنقي كل الأديان في ممارسة طقوسهم وشعائرهم الدينية في المدينة المقدسة في جو من الحرية والاطمئنان .

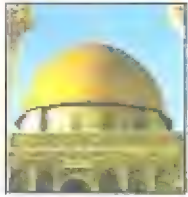
وأخيراً ، ، فإننا نجد هذه الوثائق ، التي جعلناها مادة هذا الحديث ، تعود بنا ثانية إلى تلك الإشارات التي بدأنا بها هذه الصفحات ، عندما قلنا : إن الموقف العربي الإسلامي من القدس وما تحفل به من مقدسات عزيزة على البشرية جمعاء ، قد تميز دائما بالتسامح الذي يجسد إيماننا بالحضارة ، وخاصة جوانبها الإنسانية ، التي تمثل الأوتار الحساسة في نفس الإنسان ولقد أضيفت إلى هذا التسامح العربي الإسلامي الأصل في العصر الحديث ، كما حدثتنا الوثائق - البقطة للمخططات الصهيونية ، التي حاولت استغلال هذا التسامح كي تتسلل من خلفه إلى أرض فلسطين ، والقدس الشريف بالذات .

وإذا كانت هذه البقطة قد تمثلت يومئذ في مراسيم وقرارات وقوانين ، كانت كافية ومجدية يوم أن كانت مشاريع الصهيونية لا تزال في طور الأماني والأحلام والمحاولات ، ويوم أن كانوا يعلنون « أن اليهود ليس لهم استناد على أحد ، وما لهم إلا مراحم وشفقة الدولة المصرية » (١) فإن من الواجب اليوم ، بعد أن تحولت هذه الأماني والأحلام إلى عدوان سافر وقوة استعمارية ضاربة ، أن يصبح مضمون البقطة العربية لهذا الخطر مشتملا على كل الأدوات التي تضمن النصر للعرب في هذه المواجهة الحاسمة ، باعتباره الانتصار للإنسانية والحضارة ، وكل القيم المضيئة في حياة الإنسان .

(١) المصدر السابق - المجلد الثالث والرابع - ص ٦٤ - ٦٦ (الوثيقة الخاصة بتجديد كنيس

اليهود بالقدس)





وثائق في الصراع الحضارى

تقديم

أولاً: شهدت مصر في بدايات القرن العشرين فترة من « عدم اليقظة » بالنسبة للخطر الصهيونى فى فلسطين ، وذلك على الرغم من النشاطات الواسعة التى أخذ يبذلها الصهيونيون فى تلك الفترة بعد قيام تنظيمهم فى أواخر القرن التاسع عشر . . . وذلك إلى الحد الذى كانت قيادات الحركة الصهيونية تستقبل فيه بمصر ، وتشر لها الصور والأحاديث فى عدد من صحفها ، ويمارسون على أرضها ألوانا من النشاط غير المشروع إعدادا واستعدادا لتنفيذ مخططاتهم فى فلسطين . .

كان ذلك يحدث فى العقود الأولى من القرن العشرين . . . بينما تدل هذه الوثائق التى نقدم لها على أن مصر فى فترة سابقة على ذلك التاريخ . وحتى قبل قيام الحركة الصهيونية الحديثة بنحو سبعين عاما ، كانت تقف موقفاً بقطاً من أحلام الصهيونية ومشاريع الدوائر اليهودية الرجعية فى فلسطين . . فكيف حدث ذلك ؟! ولم كانت بقطتنا فى النصف الأول من القرن التاسع عشر (١٨٣١ - ١٨٤١ م) وغفلتنا فيما بعد ذلك بزمن طويل ؟!

إن السبب - الذى نستخلصه - فى ذلك هو أن مصر كانت مستقلة ومتحدة مع المشرق العربى فى ذلك التاريخ القديم ،

بينما كانت في العقود الأولى للقرن العشرين واقعة تحت وطأة الاحتلال . . فاستقلالها ، واتحادها مع المشرق العربي ، ومعايشتها لقضايا الوطن الكبير ، قد أثمرت تلك اليقظة لخططات الصهيونية وأحلامها . بينما حال الاستعمار والعزلة بينها وبين مثل هذه اليقظة فيما بعد ذلك من سنوات التاريخ .

ثانياً : في المرحلة التي تتحدث عنها هذه الوثائق ، يظهر فيها بجلاء ، أصالة الموقف العربي الذي يميز ما بين اليهودية كدين وما بين الأضلاع الاستعمارية الاستيطانية المستترة بهذا الدين . فيعطى اليهودية واليهود في الأماكن المقدسة وبلاط فلسطين فرص العيش والتعايش والكسب والعبادة على قدم المساواة مع غيرهم من أبناء الديانات الأخرى . وفي ذات الوقت يرفض هذا الموقف العربي اليقظ كل ألوان المشاريع وأنواع المحاولات التي تريد لليهود مركزاً متميزاً وممتازاً في هذه البلاد . . وهذا التمييز اليقظ الذي عرفته بلادنا في فترة استقلالها تلك ، نحن نفتقده في دوائرها الرسمية ، فيما بعد ذلك ، في ظل سلطة الاحتلال ونفوذ الاستعمار .

ثالثاً : تدل ضخامة المشاريع والأحلام الصهيونية ، وتعددتها ، التي تتحدث عنها هذه الوثائق - إذا ما ربطت بتاريخها وملايساتها - على أن فترات يقظة أمتنا ونهوضها كانت دائماً هي الفترات التي ينشط فيها الاستعمار الغربي ، مستعيناً بالتيارات الرجعية والرأسمالية في صفوف اليهود الأوروبيين ، كي يزرع في قلب العالم العربي ذلك الجسم الصهيوني الغريب ، حتى يحول بين يقظة هذه المنطقة وبين بلوغ المدى المنشود :



● ففي الوقت الذي استطاعت فيه مصر أن تستقل عن نفوذ العثمانيين ، وتبني للمرة الأولى في العصر الحديث دولة مدنية عصرية ، وتوحد معها السودان ومعظم أجزاء المشرق العربي . . في نفس الوقت ترتفع حسي النشاط الاستعماري والصهيوني ضد هذا التطور الذي تشهده المنطقة . .

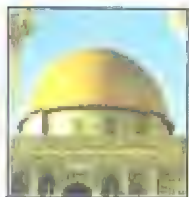
● فتنتهز إنجلترا فرصة انشغال فرنسا في محاولات إخضاع الجزائر ، وتسعى للحلول محلها في التحالف مع الحركة اليهودية الرجعية ، ذلك التحالف الذي سبقتها إليه فرنسا بقيادة « نابليون بونابرت » عندما توجه إلى يهود العالم من على أبواب « عكا » في ٤ أبريل سنة ١٧٩٩ م بنادائه الشهير ، طالباً معونتهم في تكوين إمبراطوريته الشرقية في نظير تمكينهم من الأراضي المقدسة . باعتبارهم « ورثة فلسطين الشرعيين » !^(١)

● وفي الوقت الذي كانت إنجلترا تتحالف فيه مع الدولة العثمانية ضد الدولة العربية الجديدة التي وحدها الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا ، والتي يحكمها محمد علي باشا . . في نفس الوقت مدت إنجلترا يدها للصهيونيين ، فعينت أول قنصل لها في مدينة « القدس » سنة ١٨٣٨ م ، وكتب إليه « بالمرستون » وزير الخارجية الإنجليزي يلفت نظره إلى أهمية دراسة مركز اليهود وقوتهم في فلسطين ، قائلاً : « عليك أن تنتهز أول فرصة لأن تقدم لي تقريراً عن الحالة الحاضرة لليهود من سكان فلسطين »^(١) .

(١) جورج كيرك (مؤرخ تاريخ الشرق الأوسط) ترجمة عمر الإسكندري . طبعة القاهرة . الألف كتاب ، (الكتاب عبارة عن محاضرات ألقيت على رجال المخابرات الإنجليز في مرحلة إعدادهم للعمل بالشرق الأوسط)

● وفي سنة ١٨٤٠ م أخذت تظهر شرات الخلف « الإنجليزي الصهيوني » ، فاتفق المليونير اليهودي « موسى حاييم مونتفيور » مع « بالمرستون » على أن يكون القناصل الإنجليز في الشرق هم « حماة لليهود في الأقطار التركية » وهو الأمر الذي كان يعنى حينئذ تحول يهود فلسطين إلى جانب الاستعمار الإنجليزي في الصراع المسلح الذي كان على وشك الاشتعال بين بريطانيا وتركيا من جانب وجيش مصر من جانب آخر في بلاد فلسطين والشام .

● وفي نفس العام ظهر المخطط الإنجليزي واضحاً ، وتحددت معالم الدور الذي رسمته بريطانيا لليهود في منع يقظة العرب ، وبالذات إذا كانت هذه اليقظة بقيادة مصر . . سواء أكانت مصر بقيادة محمد علي ، أم تحت قيادة أى حاكم « يخلفه » ، ولكن يقود المنطقة في طريق الاستقلال والاتحاد . . ظهرت ملامح هذا المخطط في سطور الرسالة التي بعث بها « بالمرستون » إلى سفيره في « الأستانة » طالباً منه السعي لدى السلطان العثماني كي يوافق على إشراك اليهود في المخطط المرسوم ضد مصر ، لأنهم - أي اليهود - هم الضمان لتجراح هذا المخطط ، في الحاضر والمستقبل على السواء . . يقول « بالمرستون » في رسالته هذه : « . . ويكون من مصلحة السلطان الواضحة أن يشجع اليهود على العودة إلى فلسطين ، والإقامة فيها ، لأن ما سيحصلونه إلى البلاد من الثروة يزيد من موارد دولته . وإن الشعب اليهودي يعودته إلى البلاد : بإذن السلطان ، وفي حمايته ، وبدعوة منه ،



يكون حجر عثرة في سبيل أى أهداف سيئة تخطر في المستقبل ببال محمد على ، أو من يخلفه وضع هذه الاعتبارات أمام أعين الحكومة العثمانية بصفة سرية وأبذل وسعك في إقناعها بأن تقدم كل تشجيع عادل ليهود أوروبا لأن يعودوا إلى فلسطين»^(١) .

نعم . . . هذه هي ملامح الفترة التي دارت فيها الأحداث التي تجسدها هذه الوثائق . . . ورغم حدة هذا الصراع فلقد اتخذت فيه مصر والعرب ، على المستويين الرسمي والشعبي ، الموقف المتسم بالتسامح الديني ، وفي نفس الوقت ييقلظ مشاريع الاستعمار والاستيطان . . . وهو الموقف الذي يستطيع القارئ وضع يده عليه من خلال نصوص هذه الوثائق التي نقدمها بنصوصها الحرفية ، ولغتها الركيكة ، مع تسلسلها التاريخي ، وترتيبها الموضوعي ، كي تبرز لنا ما حوت من معان ودلالات . . .

الوثيقة الأولى

(وهي عبارة عن مرسوم أصدره « إبراهيم باشا » وبعث به إلى المسئولين الرسميين والشعبيين بمدينة القدس ، طالباً منهم إلغاء المظالم المالية التي كان الأتراك العثمانيون قد فرضوها على المسيحيين واليهود ، وكذلك على حجاج القدس من أهالي هاتين الديانتين ، مثل :

(١) المصدر السابق . .

- ١ - الرسوم الجمركية .
- ٢ - الضرائب على المعابد والأديرة ،
- ٣ - الضرائب على الأفراد .
- ٤ - الضرائب على دخول كنيسة القيامة .
- ٥ - الضرائب على نزول نهر الأردن للتطهر أو التعميد .
- ٦ - الضرائب الخاصة بالحنفراء في طرق الحج .. إلخ .. إلخ ..

لقد ألغت هذه الوثيقة هذه الضرائب .. وبأثر رجعي .. أما نصها فهو :^(١) .

جناب صدر الموائى العظام ، ويدر أهل المعالى الفخام ،
مولانا : منلا أفندى .. القدس الشريف .. زيد مجده .

وأفتخار المدرسين العظام ، شيخ الحرم الشريف . وفخر
العلماء الأعلام ، مقتى الإسلام .. زيدت علومهم .

وفرخ الشجرة الزكية . وطراز العصاية الهاشمية . نقيب
الأشراف ، أفندى ... زيد شرفه .

وعسدة أهل العلم والتقوى ، خدام المسجد الأقصى ، وكافة
العلماء ، والخطباء ، والوجوه .. - زيد قديرهم .

يحيطون علمًا : إنه ليس خافيكم أن القدس الشريف
محتوى على معابد ترد لأجل زيارتها جميع أملاك^(٢) العيسوية

(١) (الأصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا) جمعها وإشرافه - أسد رستم .

طبعة كلية العلوم والآداب بالجامعة الأمريكية ببيروت ، المجلد الأول ص ٨٧ - ٨٩ .

(٢) أى مثل واديان



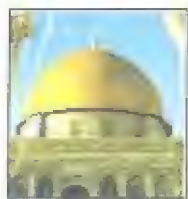
والموسوية ، وفريقهم من كل فج ، ويقصدونها من سائر الأقطار
والديار ، فبحسب تواردهم يحصل عليهم المشقات الباهظة .
لسبب الأغفار الموضوعة بالطرقات^(١) .

ولأجل إجراء الوقف بين الناس ، صدرت أوامرنإ إلى جميع
المسلمين^(٢) الذين في إيالة ألوية « ضيدا » ، وألوية « القدس
الشريف » و « نابلس » ، و « جنين » ، برفع هذه الأغفار من
جميع الطرقات والمنازل بوجه العموم .

ومن حيث أن الأديرة والكنائس الكائنة بمدينة القدس
الشريف هي مقر الرهبان والقسس ، وبها يتلون الإنجيل
الشريف ، ويجرون طرائق اعتقادهم وطقوسهم ، فيشغى
حمايتهم وصيانتهم من كل التكاليف التي ترتبت عليهم
بواسطة طمع السالفين . فلذلك قد صدرت إرادتنا الآن برفع
الترتيبات التي على جميع المعابد والأديرة وجميع طوائف
النصارى الكائنة بالقدس الشريف : إفرنج وروم وأرمن وقبط ،
وكذلك العوائد المترتبة على الملة الموسوية . قديماً وحديثاً ،
وتلك المرتبات إن كانت من فرائض وعبوديات ومعتادات عائنة
إلى خزانة الولاية الوزراء الأعظم أو للقضاة أو للمستسلمين أو
لأرباب الوظائف وذوى التكلم ، أو للكتاب والمياشرين .
فجميعها أمرنا برفعها وإبطالها ومنعها . وصدرت أوامرنإ أيضاً

(١) الضرائب الخاصة بالجهراء

(٢) الحكمه مخبر



يرفع الغفران المجمعون على الملة العيسوية عند دخولهم إلى «القيامة»^(١) ، والغفر الذي عند «موردة» الشريف الذي على نهر الأردن^(٢) .

وأصدرنا لكم أمراً هذا بهذا الخصوص ، لكي يوقفكم على مضمونه حالاً تقابلوه بالإطاعة والامثال يرفع جميع هذه العبوديات والمرتبات والمشقات عن جميع الأديرة والمعابد الكاثنة بالقدس الشريف ، المتعلقة بجميع طوائف الملة العيسوية والموسوية ، ورفع الغفرين المذكورين أيضاً^(٣) لأن هذه المرتبات جميعها لا توافق وجهها شرعياً .

وبعد صدور أمرنا هذا ، كل من بدا منه خلاف ، أو كل من أخذ من المذكورين درهم الفرد^(٤) يقع تحت الملام . فبناء على ذلك أصدرنا لكم عرسونهما هذا لكي تعتمدوه من ديوان عسكر «عكا» ، فيوصلوه وإطلاعكم على مضمونه تعملوا بموجبه ، وتحاشوا مخالفته ، واعتمدوه غاية الاعتماد . واخذر من الخلاف .

تحريراً في ١٠ رجب سنة ١٢٤٧ هجرية ، سنة ١٨٣٢ م .

الحاج إبراهيم باشا

والى «جدة» ، وسارى معسكر «عكا» «حالا»

(١) كنيسة القيامة

(٢) موردة الماء ، على نهر الأردن . حيث يجري الاستحمام للتطهر والتعميد

(٣) صربية ودخول كنيسة القيامة ، وبضريبة «موردة» نهر الأردن .

(٤) جمع فردة . يكرر الغناء ويكون الرأى . الضريبة غير القانونية

الوثيقة الثانية

(هي عبارة عن مرسوم أصدره إبراهيم باشا ، تتحمل بموجبه الدولة مرتبات الموظفين العموميين الذين كانوا يتقاضون مرتباتهم في الماضي . زمن الحكم التركي . من الأديرة والكنائس والمعابد الخاصة بالمسيحيين واليهود . . وهي موجهة كذلك إلى المسئولين في القدس . . ونصها : (١١) .

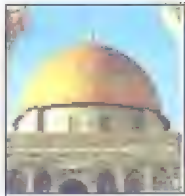
« جناب صدر الموالي العظام ، وبدر أهل المعالي القدام ، مولانا منلا أفندي . . القدس الشريف . حالاً . . زيد فضله .

وافتحار المدرسين العظام ، شيخ الحرم الشريف . وافتخار العلماء الأعلام . مفتي الإسلام ، أفنديين . زيدت علومهم . وفرع الشجرة الركية ، طراز العضاية الهاشمية . نقيب الأشراف ، أفندي . . زيد شرفه .

وعمدت آل العلم والتقوى ، خدام المسجد الأقصى . وكافة العلماء والخطباء . وافتخار الأماجد والأعيان الكرام . الحاج محمد سعيد آغا . المتسلم . . . زيد مجده .

ومفاخر أقرانهم ، كافة الوجوه والأهالي بوجه العموم . يحيطون علماً : أنه قبل الآن صدر أمرنا برفع كافة العوائد والمرتبات والأغفار المجعولة على طوائف العيسوية ، وطائفة الموسوية ، وأنه من الآن وصاعداً لا يقبض منها شيء . ولأجل عدم عذر أصحاب المرتبات في أمر تعيشتهم ، صدر أمرنا بأن

(١١) نفس المصدر السابق . المجلد الأول . ص ١٣١ ، ١٣٢ .



يتحرر دفتر عن كامل المرتبات بالتوضيح : اسم باسم . لأجل
 صرف المرتبات المذكورة إلى أربابها من خزينتنا .
 وعندما حضروا : جناب عمر أفندي ، وأبو السعود أفندي .
 لهذا الطرف أحضروا معهم دفتر ، فوجد به اختلاف عن
 الدفتر الوارد من أديرة العيسوية . وعند توجيههم إلى القدس
 الشريف ، أصدرنا أوامر معهم : أن يصححوا بوصولهم الدفتر
 المذكور ويرسلوه لأجل صرف المرتبات المذكورة إلى أربابها .
 ومن يوم توجيههم إلى الآن ما أرسلوا الدفتر ، ولا ورد منهم
 خبر . ومن حيث أن عاقبة وروده ، فهو سبب لمضايقة أرباب
 المرتبات . فيلزم بوصول مرسومنا هذا ، يتحرر دفتر بالأسماء ،
 على الصحيح . بحضور أرباب المرتبات ، بالمقابلة على دفاتر
 الأديرة ، بالضبط الشافي ، وبوروده لهذا الطرف لأجل صرفه
 لأربابه واستجلاب خير دعاهم .

فبناء على ذلك اقتضى إصدار مرسومنا هذا من ديوان
 معسكر « عكا » ، لتعملوا بتوجيه وتعمدوه غاية الاعتماد .
 حرر في ١٩ ذي الحجة سنة ١٢٤٧ هجرية . . سنة ١٨٣٢ م .

الحاج إبراهيم باشا

والى « جدة » وسارى معسكر « عكا » « حالا »

الوثيقة الثالثة

(هي عبارة عن المرسوم الذي أصدره إبراهيم باشا بشقير عقوبة السجن لمن يخالف مراسيمه السابقة المقررة للمساواة بين الطوائف والأديان وإلغاء الضرائب والأتاوات التي كانت مفروضة من قبل على المسيحيين واليهود ، ونصها :) (١) .

« صدر المولى العظام ، وبدر أهل المعالي الفخام ، قاضي محروسة القدس ، حالا ، مولانا : منلا أفندي ... زيدت فضائله .

وفخار العلياء الأعلام ، مفتي الإسلام ، وشيخ الحرم الشريف ، أفنديين ... زيدت علومهم .

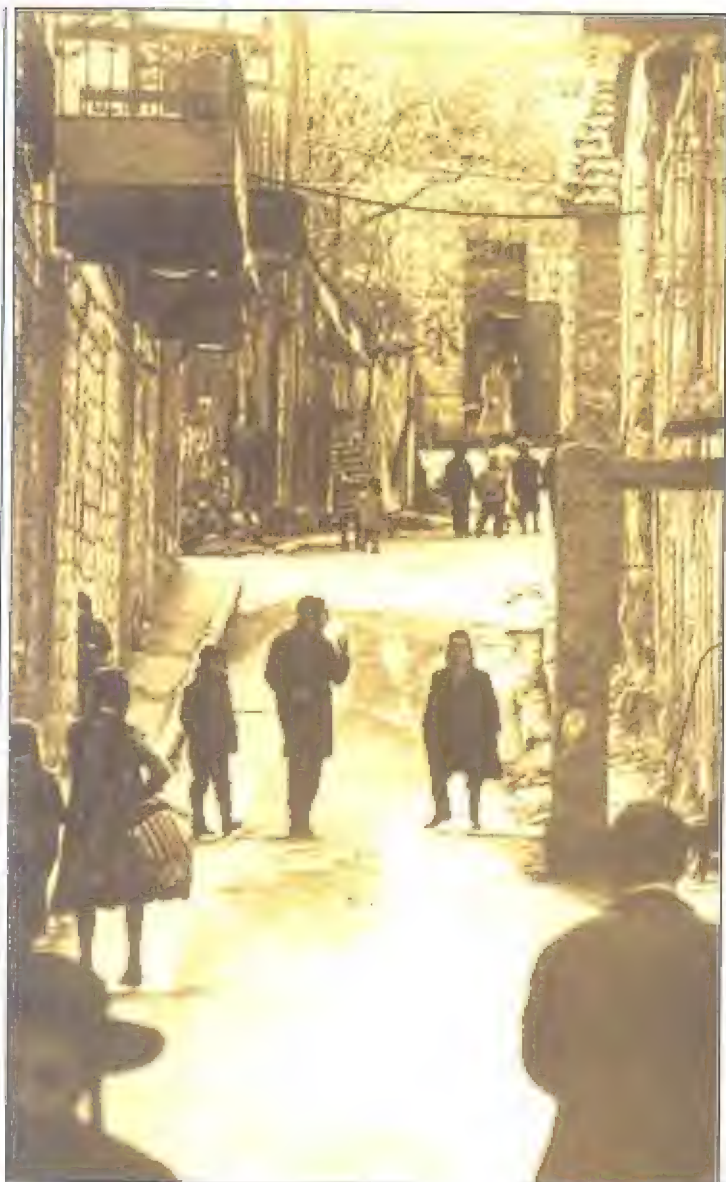
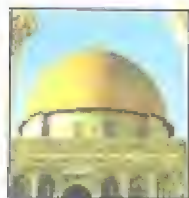
وفخار السادات الأشراف ، زبدة سلالة آل عبد مناف . نقيب الأشراف ، أفندي ... دام شرفه .

وعمدة آل العلم والتقوى خدام المسجد الأقصى . وكافة العلماء والأئمة والخطباء .

وفخار الأماجد والأعيان الكرام ، سعيد أغا ، المتسلم بها حالا ... زيد مجده .

وفخار المشايخ المكرمين ، محاسبينا ، الشيخ إبراهيم أبو غوش ، والشيخ إسماعيل السمحان ، ومفاخرين أقرانهم ، كافة الوجوه ، وأرباب التكلم بها ، حالا ،

(١) نفس المصدر السابق المجلد الثاني ص ٥٠٤ .



يحيطون علماً : هو أنه قبل الآن ، صدرت أوامرنَا برفع كافة العوائد المترتبة على أديرة طائفة النيساوية وطائفة الموساوية . والأغفار الموضوعة على الزوار بكافتهم . والآن : لأجل تأكيد مرسومنا السابق ، تأمر بأمر احتتم بأن لا أحد يمد يده لأخذ نصف فضة واحدة من المرتبات والأغفار المذكورة ، وإن تجاسر أحد أخذ بارة الفرد ، إن كان من أغفار أو من عوائد أو من شيء من هذا ، حالاً يقع عليه القبض بمعرفة متسلم أغا ، ويتوضع بالسجن ، ويعرض عنه لمسامعنا .

فينبغي أن كلا منكم يكون على حذر . فبناء على ذلك اقتضى إصدار مرسومنا هذا من ديوان سر عسكرية عربستان^(١) ، لكي يوصله وإطلاكم على مضمونه تعملوا بوجبه وتعتمدوه غاية الاعتماد . والحذر من خلاف .

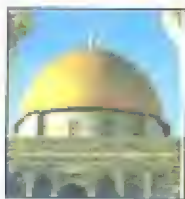
فى ٣ محرم سنة ١٢٤٨ هجرية . . سنة ١٨٣٢ م .

الحاج إبراهيم باشا

الوثيقة الرابعة

(هى عبارة عن تقرير مرفوع من قاضى القدس السيد عمر نسيب حريرى زاده ، إلى أحد رجالات الدولة العاملين من قبل إبراهيم باشا ، وهو محمد شريف باشا ، بخصوص تجديد اليهود لكتيبتهم فى القدس . . وهى وثيقة تؤكد - سواء بتقرير القاضى أو برّد محمد شريف باشا عليه - أن الدولة المصرية العربية قد

(١) الدولة العربية التي أقامها الجيش المصري بالشام بعد تحريكها من الأتراك



التزمت بالمحافظة على الحقوق التاريخية الروحية لليهود في القدس ، وأن يقضتها كانت قائمة مخافة التوسع في هذه الحقوق المكتسبة عبر التاريخ . . . فلم يكن هناك اعتراض على التغييرات التي أجراها اليهود في شكل كنيساتهم ، وإنما كان الاهتمام منصبا على عدم إعطائهم مساحة من الأرض المقدسة أزيد مما كان لهم من قبل القيام بهذا التجديد ونص تقرير القاضي هو : (١١) .

ولي النعم ، دولتلو ، مرحمتلو ، أفندم .

تشرفنا بوصول أمركم الكريم ، المخاطب به داعبكم القدي ، وجناب أحيانا المحترم : حسن بياك ، متسلم القدس الشريف ، حالا . المتضمن منطوقه الكرم بأن طائفة اليهود المقيمين بالقدس الشريف ، تقدم أعرضوا للأعتاب الشريفة السرى عسكرية . بخصوص كنيستهم ، واستدعوا الإذن بتعميرها ، وقد صار مقبولا ، وصذر لهم الإذن بتعميرها على الهيئة الأصلية ، على وجه القدي . وأنه يقتضى الآن الكشف عليها من طرف عبدكم المتسلم الموصى إليه بمعرفة الشرع الشريف . ومهما يتم تحقيقه تعرضه لسعادتكم .

والحال أن الأمر الصادر لهم فهو من الأعتاب الشريفة الخديوية : على الوجه الأساسى القدي . واستنادا عليه حرر لهم سعادة سلفنا المراسلة الشرعية ، مصرح فيها بأن طولها ثمانية وخمسون ذراعا ، وعرضها خمسة وأربعون ذراعا ، وقدها ثلاثة عشر ذراعا . بالكشف .

(١١) نص القصر السابق . . المجلد الثالث والرابع . ص ٢٩ - ٣٠

فافتضى للأمر السامى ، أنه قد توجهنا مع متسلم المومى إليه ،
وكشفنا عليها ، ووجدنا بأن الطول والعرض ما فيه زيادة ،
وكنيستهم على الوجه القديم : أربعة قطع فى محل واحد ،
ولكن : أن الباب القديم مسدود ، وفتح باب آخر بقربه ، وأن
بعض السقف الخشب مبنية بالأحجار على الوجه الأساسى
القائم ، وفيه قبة مرتفعة عن الأول ، والقطعة الثانية سقفها
حجر ، على الوجه القديم ، أما ارتفاعها : زيادة ، ورسمها : رسم
جديد ، والقطعة الثالثة : مبنى من فوق السقف القديم سقف
آخر جديد أوسع من القديم ، والقطعة الرابعة : بنوا حيطانها
ورسموا عليها من الأحجار ، ولكن ماء ، وشباك زائدة على
الأول مطالات على حافورتهم ومحلاتهم .

وسألنا ، فقالوا : إن السقف الخشب فى القدس الشريف أمر
مشكل ، فبقتضى تكليقات والمصاريف ، وبناء على ذلك
حصل الإذن من سلفنا على السقف من الحجر ، حتى محو
فى دفتر الكشف السابق ، ولا يضير على الغير ولا يشتكى منا
أحد ، ولأن الأخشاب دائما تحتاج التعمير والتصرف ، وبلا
أمر عالى خديوى لا نقدر نعمر ، فمن ذلك نحتاج بكل وقت
إلى أمر عال ، وبذلك يصير التعجيز إلى أفندينا ، وأيضاً حالتنا
لا يتحمل إلى التعمير ، فبناء عليه عملنا السقف من الحجر .
لأنه ليس لنا شريك بالكنيسة . مثل كنيسة الطائفة
العیسویة ، ولا يحصل فيما بيننا خصومة ، فمن ذلك تجاسرنا
على السقف الحجر .



ويقولون أيضاً: إن اليهود ليس لهم استناد على أحد، ومالهم إلا
مراحم وشفقة الدولة المصرية، وبقدر ضعف حالنا عمرنا الكنيسة
على قدر الإمكان. والأمر لسعادة أفندينا ولي النعم^(١).

هكذا تقرير وكلام طائفتهم. فاقترضى أننا مؤتمدين هذه
العريضة لسعادتكم بما حصل وشاهدنا من تعسيرات الكنيسة
المذكورة وكيفيتها بالإجمال. والأمر لسعادتكم.

فى ١٧ شوال سنة ١٢٥١ هجرية . . ستة ١٨٣٦ م.

مهور بمهره المعتاد .

العبد الداعى

السيد عمر نسيم حريزى زاده القاصى بالقدس الشريف .
عفى عنه » .

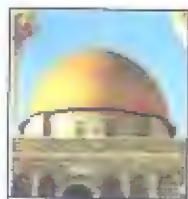
الوثيقة الخامسة

(هى عبارة عن رد محمد شريف باشا بالاعتماد والتصديق
على تجديد اليهود لكنيستهم ، على النحو الذى تم .
ونصها :)^(٢) .

« جناب صدر صدور الموالى العظام . ذوى المجد والاحترام .
حضرة الأخ الأجل الأفخم سلطان أفندى جليل الشأن . . حفظه
الله .

(١) أى كلام يهود الأوس من كلام صهيانية اليوم ١٧

(٢) المصدر السابق . المجلدان الثالث والرابع . ص ٢٦



أنه قبل تاريخه قد اطلعنا على الإعلام المسموع من اجناب
بكيفية الكشف انذى حصل على كنيسة اليهود بالقدس
الشريف ، وكل ما ذكر به صار معلوما ، وقد قدمنا أعراضه
للأعتاب السعيدة السر عسكرية .

فالآن قد صدر الأمر الكريم جواباً عن ذلك بأنه من حيث
الكنيس المرقوم قد تموا عملياته اليهود ، استناداً على الأمر
الشريف اخذبوى الصادر بذلك ، وانتهى عمله فقد مضى أمره .
اقتضى إفادة حضرتمكم .

في غزة ذى القعدة سنة ١٢٥١ هجرية . سنة ١٨٣٦ م .
مهور ومختوم بختم محمد شريف باشا»

الوثيقة السادسة

(خاصة هي الأخرى بالاحتفاظ بالحجاج المسيحيين
القادمين إلى القدس من خارج العالم العربي بالمكاسب التي
قررتها وأرستها التقاليد العربية الإسلامية ، من حيث
معاملتهم ، فيما يختص بالأمثلة والمنقولات ، معاملة نحتلف
عن معاملة التجار ، وهذه الوثيقة عبارة عن مرسوم أصدره
إبراهيم باشا إلى سنجق « يافا » وجرمكها . . . ونصها :^(١) .
« صدر مرسومنا العالى المطاع ، الواجب القبول والاتباع ،
إلى :

(١) المصدر السابق المجلد الأول - ص ١١٥ - ١١٦ .

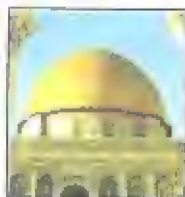
قدوة القضاة والحكام ، معدن أهل الفضل والكلام ، قاضى ،
أفتدى ، مدينة « يافا » حالا ... زيد فضله .

وقدوة الأماجد والأعيان الكرام ، إجازة إبراهيم أغا ، متسلما
فى سنجق « يافا » ، حالا ... زيد مجده .

وعمدة المشايخ المعنبرين : الشيخ صالح خميس ، ملتزم
الكمرك بها .

يحيطون علما : أن فخر الملة المسيحية ، وعمدة الطائفة
الغيسوية ، وكلاء دير الأرمن بالقدس الشريف ، أعرضوا
لمسامعنا أن زوار القادسة^(١) عاداتهم من قديم الزمان عند نزولهم
من القدس الشريف عن طريق طرفكم ، لا تفتح صناديقهم
ولا تفتش بالكمرك ، بل تؤخذ منهم عشرة فضة من دون زيادة .
وإن بهذه السنة توجه أحمان زوار عن طريق طرفكم ، ففى
ديوان الكمرك فتحوهم وأخذوا عليهم كمرك كباقى بضائع
التجار ، ويلتزموا رفع هذه البدعة عنهم ، وضلوكتهم على
الأسلوب القديم .

ومن حيث أن هذه البدعة مخالفة لوصانا ، كونها موجبة
سلب راحة الزوار ، وتعبهم ، فيلزم بوصول مرسومنا هذا إليكم
من الآن وصاعداً ، تعاملوهم حكم العوائد القديمة ، بعدم فتح
صناديق الزوار وتفتيش حوائجهم ، ولا يؤخذ منهم كمرك ، إلا
ما كان مقرراً فى السابق ، من دون زيادة مصرية الفرد .



■ امرأة مقدسية صعيد يستعصي على التمييز والتفويض. ووجهه معبّر عن الواقع
الراهن

وتسجلوا مرسومنا هذا في المحكمة المظهرة . فبناء على ذلك
اقتضى إصدار مرسومنا هذا عن ديوان معسكر « عكا » .
لتعملوا بموجبه ، وتحاشوا مخالفته .

فى ١١ شوال سنة ١٢٤٧ هجرية . . سنة ١٨٣٢ م

تمهور بمهر الأيالة الكبير

من ولى النعم : اخاج إبراهيم باشا

الوثيقة السابعة

(هي أولى الوثائق التي تقدمها هنا دالة على يقظة الموقف
العربى لأطماع الصهيونيين القديمة في فلسطين ، ففي سنة
١٨٣٧م بذل اليهود الأوروبيون « الإسكناز » - وتسميهم الوثيقة
« السكناج » - بذلوا محاولة لبء الاستعمار الاستيطاني
اليهودى في فلسطين . . وطلبت السلطة المصرية العربية من
الجلس الاستشارى لمدينة القدس بحث هذا الأمر . وبقى لنا
من مكاتبات هذا الموضوع تلك الوثيقة التي رفضت محاولة
اليهود الأوروبيين . لأن الأرض المقدسة هي « مصرية » -
(ملكية عامة للدولة) - لا يجوز بيعها لأفراد أو الطوائف أو
الشركات . . وفى نفس الوقت قرر المجلس لهؤلاء اليهود حرية
التجارة فى البلاد كغيرهم من التجار الأجانب ، فميز بذلك
بين ما هو مشزوع يتعلق بالحرية وما هو من حظور يتعلق
بالاستعمار . . . ونصها : (١) .

(١) المصدر السابق . مجلدان الثالث والرابع : ص ٦٥ . ٦٦



« فيد بالإذن الشرعي ٢٣ سنة ١٢٥٣ (هجرية) . . الأمر
الحكمداري .

اقتحار الأماجد الكرام ، ذوى الاحترام ، ولدنا العزيز
مصطفى أعما السعيد ، متسلم القدس الشريف ، حالا .

إنه بهذه الأثناء ورد لنا تحرير من جناب محبنا ميرا المولى ^(١)
بحرى بيك ، وفى طيه جرنال ^(٢) وارد من مجلس القدس
الشريف . . والجرنال المرقوم مبنى على معروض متقدم للمجلس
من وكيل طائفة « السكناج » بالقدس الشريف - بقصد
الاستعلام بأنه : هل يترخص لهم بمشترى الأملاك وأراضي
للزراعة وتعاطى الحرت والزرع وتعاطى البيع والشراء وبيع
الأغنام والأبقار وتعاطى مصابن ومعاصر ^(٣) . بناء يدفعوا
المرتب الميرى مثل الرعايا ^(٤) .

هذا مضمون استعلامهم ، وفهمنا كيفية جواب المجلس ،
بأن هذه ما سبق مثال ، وبالوجه الشرعي أيضاً غير مساعد
للمستأمنين المذكورين فى جميع ما يستدعونه ، حيث أراضي
تلك الديار ميرية ووقفية ، فالتماسهم بذلك لا يوافق حكم
الشريعة ، ما عدا تعاطى البيع والشراء بالتجارة التى يجلبوها
من بلادهم من أنواع التجارة حكم أمثالهم الذميين فى السوق ،
بأن هذه أعمال يتعاطوها الآن ، فما أخذ يبالغهم بها .

(١) أى : أم المولى

(٢) محضر اجتماع .

(٣) مصانع لعمل أنصابون وعصر الزيتون

(٤) أى أنهم كانوا يطلبون حقوق المواطنين ، لا مجرد حقوق التجار الأجانب

هذه ملخص مجاوبة المجلس المبسوط بصورة المذاكرة المرقومة .
وهذه المجاوبة من المجلس فهي بالحق والطريقة ، والمجاوبة لهم
بذلك ، فهي بحلها إذ ذاك ، أى الذى ملتزمينته غير موافق
الوجه الشرعى ، وأما تعاطيهم البيع والشراء بالسوق ، قياس
أمثالهم الذميين ، فهذا ليس لهم معارضة به . فيلزم والحالة
هذه إفادة مجلس القدس بذلك لكى يكون معلوما عند
حضرات أرباب المجلس أن جوابهم بذلك بحله .

فى ٢٤ محرم سنة ١٢٥٣ هجرية . سنة ١٨٣٧ م

مختوم بختمه المعتاد من مصر

محمد شريف باشا

الوثيقة الثامنة

(خاصة كذلك بيفظة الدولة المصرية العربية والمجلس
الاستشارى لمدينة القدس ، للأطماع التوسعية لليهود فى
الأماكن المقدسة بالقدس ، عندما أرادوا فى سنة ١٨٤٠ م
توسيع دائرة نفوذهم فى المكان المجاور للمسجد الأقصى تحت
ستار إجراء عمارة « تبايظ » عند « حائط المبكى » . . وفى
نفس الوقت الذى تسجل فيه هذه الوثيقة رفض طلب اليهود
هذا ، تقر لهم حقهم التاريخى والروحى فى تارسة شعائرهم
الدينية عند « حائط المبكى » . . . ونص الوثيقة : (١) .

افتخار الأماجد الكرام ، ذوى الاحترام ، أعيننا السيد أحمد
أغا دزدار ، متسلم القدس الشريف ، حالا .

(١) النص السابق . المجلد الخامس . ص ٧٨



إنه قد ورد لنا الأمر السامي السري العسكري ، مضمونه صورة إرادة شريفة خديوية صادرة لدولته يعرب مضمونها العالی : إنه حيث قد اتضح من صورة مذاكرة مجلس شورى القدس الشريف بأن الخلل المستدعين «تبليطه» اليهود هو ملاصق إلى حائط الحرم الشريف وإلى محل ربط البراق ، وهو كائن داخل وقفية حضرة «أبو مدين» - (قدس سره) - وما سبق لليهود تعمير هكذا أشياء بالخل المرقوم ، ووجد أنه غير حائز شرعا . فمن ثم لا تحصل المساعدة لليهود «بتبليطه» ، وأن يتحدروا من رفع الأصوات وإظهار المقالات ويمنعوا عنها . فقط يعطى لهم الرخصة بزيارتهم على الوجه القديم .

وصادر لنا الأمر السامي السري العسكري بإجراء العسل بمقتضى الإرادة الواردة المشار إليها ، فبحسب ذلك اقتضى إفادتك بمقتضاها السامي ، لكي يوصله تبادروا لإجراء العسل بمقتضاها المليف . يكون معلومكم .

حررنا ٣٦٨ عمرة ٣٩ في ٢٤ ربيع الأول سنة ١٢٥٦ هجرية
سنة ١٨٤٠ م

الختم ، محمد شريف

الوثيقة التاسعة

(صدرت بخصوص طلب تقدم به القنصل الأمريكي في القدس ، بطلب حرية التصرف في قطعة من أرض المدينة المقدسة قرب زاوية داود ، وذلك بعد شرائها بواسطة أحد الرهبان الأمريكيين . . وبومها استفتت الدولة المصرية العربية

المجلس الاستثنائي للقدس في الأمر ، وكون المجلس لجنة لفحصه على الطبيعة ، ثم توجهت هذه الجهود لمنع محاولات التسلسل هذه من قبل الغرباء إلى قلب القدس ، ونص هذه الوثيقة هو : (١١) .

« المعروف ، عقب الدعاء (١٢) .

إنه من حيث صدر الأمر الكروي الحكمداري ، المتضمن عن الأمر العالي الخديوي ، بما عرض للأعتاب السنية من «السنير فليدون» قونسولس (١٣) الأميركان . بخصوص قطعة الأرض التي اشتراها «جرجيس هوتين» الراهب الأميركي . بالقرب من زاوية نبي الله تعالى سيدنا داود ، عليه صلوات المعبود . لأجل اتخاذها مدفنًا لمواراة موتاهم .

وإن الإرادة السنية صادرة بالتفحص عن كيفية هذه الأرض ، وهل موقعها بعيد عن الزاوية المشار إليها ، أم قريب إليها ؟ وهل لذلك مسوغ شرعي أم لا ؟ .

وإن بعد الكشف ، يتقدم إعلام شرعي بإفادة الأعتاب السنية عن ذلك ، فافتضى امثالاً للأمر العالي عين داعيكم من طرف عبدكم الشيخ محمد راغب أفندي الخالدي فتوجه أمين أعما . المندوب من جانب عبدكم منسلم حسين بيك المحترم . والحاج عثمان ، معمار باشي ، فكشفوا على قطعة الأرض المذكورة ، فوجدت : طولاً إثنان وثلاثون ذراعاً . وعرضاً خمسة عشر وثلاث ذراعاً ، وفيها شجرة زيتونة ، وموقعها

(١١) المصدر السابق . المجلد الثالث والرابع من ٣١ . ٣١

(١٢) أي : بعد الدعاء

(١٣) أي : فصل



قريب إلى الزاوية المشار إليها ، بينهما فاصل أربعة وعشرون ذراعاً وذراع العمل .

وأما الحكم الشرعي اتخاذها مقبرة فقد صرح الفقهاء العظام بأنه لا يجوز إحداث بيعة أو كنيسة أو صومعة أو مقبرة في دارنا ، ويعاد المنهدم . كذا في فتاوى الصرة ، وذكر في (الدر المختار في شرح تنوير الأبصار) : فلا يجوز أن يحدث بيعة ولا كنيسة ولا صومعة ولا بيت نار ولا مقبرة ولا صنماً حاوي في دار الإسلام ، ولو قرية ، في «المختار»^(١) . انتهى .

فهذا ما لم أعرضه للأعتاب السنية ، والأمر لدولتكم العلية .

حرر في اليوم الخامس والعشرين من محرم أحرام سنة اثنين وخمسين ومائتين وألف (هجرية سنة ١٨٣٦ م) بقلم أفندينا المحترم المتلا .

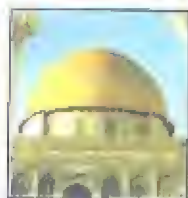
العبد الداعي بدوام دولتكم العالي حريري زاده السيد عمر النسيب الفاضل بالقدس الشريف .

(١٠ هـ)

تلك هي الوثائق الشاهدة على صفحة من صفحات الصراع الحضاري والتاريخي حول القدس . مع مطلع عصرنا الحديث . والتي تفصح عن أن قوة الموقف العربي والإسلامي هي السبيل لحفظ الحق ، ووضع مخططات الأعداء وتحدياتهم حيث يجب أن تكون .

(١) أي أنه لا يجوز إعتاء حائقة من لطائف الخليفة حقوقاً جديدة في هذه الأرض المقدسة . زيادة على ما لها من حقوق روحية اكتسبتها عبر التاريخ القديم .





لكن..

عاد الأسر. المعاصر. للقدس :

لكن القوى الغربية ، التي حركت ونظمت وتولت الغزوة الصليبية .. قد عادت ، في مرحلة لاحقة ، وفي طور جديد ، لتحقيق ذات المقصد القديم « انتزاع الأرض التي تدرسمنا وعسلا » !! واحتكار قداسة القدس لها وحدها ، وإهدار قداستها لدى الآخرين ..

فبدأت هذه القوى الاستعمارية ، بعد اقتلاع الإسلام من الأندلس ، واسقاط « غرناطة » (٨٩٧ هـ - ١٤٩٢ م) .. بدأت :

« مرحلة التطويق للعالم الإسلامي »

● ففي ذات العام الذي سقطت فيه غرناطة خرجت حملة « كريستوف كولومبس » لاكتشاف طريق تطويق عالم الإسلام .

• وعندما ضل « كولومبس » الطريق ، فذهب إلى القارة الأمريكية .. خرجت الحملة البرتغالية ، لتحقيق الهدف الذى لم يحققه « كولومبس » ، فكان اكتشاف البرتغاليين لطريق الالتفاف حول العالم الإسلامى ، عبر ميناء الرأس الرجاء الصالح « (٩٠٣ هـ - ١٤٩٧ م) .. أى بعد خمس سنوات من سقوط غرناطة ! ..

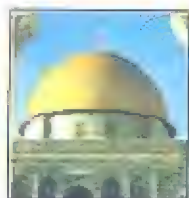
• وعلى شواطئ الهند المسلمة حدثت المواجهة بين البرتغاليين وبس الجيش المصرى ، بقيادة المماليك (٩١٠ هـ - ١٥٠٤ م) .. وهى المواجهة التى انتصر فيها البرتغاليون على المماليك ..

• ومع تزايد نشاط حملات « التطويق » .. حول شواطئ الهند ، وفى بحر العرب ، والخليج العربى ، والبحر الأحمر .. وفى ظل ضعف الدولة المملوكية ، كان الاتجاه العثمانى إلى الشرق والجنوب ، وإدخال العالم العربى فى كنف العسكرية العثمانية (٩٢٣ هـ - ١٥١٧ م) لمواجهة مخاطر هذا التطويق الذى نجح فى تثبيت أقدام الغزاة الأوروبيين فى أندونيسيا ، والهند .. والفلبين - (فى القرن العاشر الهجرى - السادس عشر الميلادى) ..

مرحلة اختراق القلب

وبعد نجاح « مرحلة التطويق » للعالم الإسلامى .. بدأت مرحلة ضرب « القلب » فى هذا العالم ..

• فعبر إزكاء الصراع بين « النصفوين - الشيعة » - فى إيران - وبين الدولة العثمانية - القوة الصارية والسياسى العسكرى



للعالم الإسلامي - وهو الصراع الذي اصطنعته أوروبا ودرعت
حروبه الدموية - تم شغل واستنزاف العسكرية العثمانية في
صراع «إسلامي - إسلامي» ! .. الأمر الذي فتح الباب
لضرب «قلب العالم الإسلامي» : بعد أن تمت «مرحلة
التطويق» .

- فكانت حملة بونايرت على مصر (١٢١٣ هـ - ١٧٩٨ م) .
- وبعد فشل الحملة الفرنسية على مصر ، جاءتها حملة فريزر -
الإنجليزية - (١٢٢٢ هـ - ١٨٠٧ م) .
- ثم كان احتلال الجزائر من قبل فرنسا (١٢٤٦ هـ - ١٨٣٠ م) .
- واحتلال عدن ، من قبل إنجلترا (١٢٥٤ هـ - ١٨٣٨ م) .
- ومنع مصر بقيادة محمد علي باشا - من تجديد شباب الدولة
العثمانية - بمعاهدة لندن (١٢٥٦ هـ - ١٨٤٠ م) .
- واحتلال فرنسا لتونس (١٢٩٨ هـ - ١٨٨١ م) .
- ولحاج الإنجليز في احتلال مصر (١٢٩٩ هـ - ١٨٨٢ م) .
- واحتلال إيطاليا لليبيا (١٣٢٩ هـ - ١٩١١) .
- واحتلال فرنسا للمغرب (١٣٣٠ هـ - ١٩١١ م) .
- وتقسيم جميع أقاليم الخلافة الإسلامية بين القوى
الاستعمارية ، وفق معاهدة «سيكس - بيكو» (١٣٣٤ هـ -
١٩١٦ م) . وكانت القدس - رمز الصراع - من مقاصد هذا
التقسيم . . حتى أن «سيكس» - الإنجليزي - قد أقيم له
في قريته - «سيلدمير» بمقاطعة «يوركشاير» - نصب

تذكاري ، يقف فيه « مزيانا بالنحاس » ، محصنا بالدروع ،
متقلدا سيفا ، وتحت قدميه يرتقى مسلم ، فوقه لفاقة كتب
عليها : « ابتهجى يا قدس » ١٩ . .

● واحتلال إنجلترا للعراق (١٣٣٥ هـ - ١٩١٧ م) .

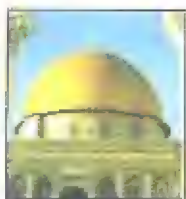
● وإصدار وعد بلفور - الذي قن الشراكة « الصهيونية -
الفريية » في هذه الحملة الاستعمارية (١٣٣٦ هـ -
١٩١٧ م) . . تلك الشراكة التي سبق ودعا إلى إقامتها
نابليون ، أثناء حصاره لمدينة « عكا » (١٢١٣ هـ - ١٧٩٩ م) .

● واحتلال الإنجليز للقدس (١٣٣٦ هـ - ١٩١٧ م) . ويومها
قال الجنرال الإنجليزي « النيسى » : « اليوم انتهت الحروب
الصليبية » ١٩ . . ونشرت مجلة « بنش Punch » البريطانية
رسما كاريكاتوريا تحت عنوان : « آخر حملة صليبية » وفي
الرسم يظهر ريتشارد قلب الأسد (١١٨٩ - ١١٩٩ م) وهو
يحذق في القدس ، قائلا : « أخيرا تحقق حلمي » ١٩ . .

● واحتلال فرنسا لدمشق (١٣٣٨ هـ - ١٩٢٠ م) عندما ذهب
الجنرال الفرنسي « جورو » إلى قبر صلاح الدين الأيوبي ،
فركله بقدمه ، وقال : « ها نحن عدنا يا صلاح الدين » ١٩ . .

● ومعاهدة « لوزان » (١٣٤١ هـ - ١٩٢٣ م) - بين « الحلفاء
الغربيين » وبين تركيا ، تلك التي قنبت لطي صفحة الدولة
العثمانية واسقاط الخلافة (١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م) .

● وإقامة إسرائيل - تجسيدا للشراكة « اليهودية - الغربية » في
استعمار وطن العروبة وعالم الإسلام (١٣٦٧ هـ -
١٩٤٨ م) .



- واحتلال كامل القدس . وبدء تهويدها (١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م) .
- ليصل النحرِب إلى الاحتفال بذكرى خمسمائة عام على بدء هذه الحقبة من حقب هذا الصراع « التاريخي - الحضاري » . بإقامة الدورة الأولمبية في برشلونة . على أرض الأندلس في ذكرى اقتلاع الإسلام ، وإسقاط غرناطة . . . ولقد كانت البداية (٨٩٧ هـ - ١٤٩٢ م) . . . وكان الاحتفال (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م) ! . . .

- ومع الاحتفال بذكرى مرور خمسمائة عام على اقتلاع الإسلام من الطرف الغربي لأوروبا . . . بدأت في نفس العام (١٩٩٢ م) حرب البوسنة ، لاقتلاع الإسلام من قلب أوروبا ! . . . وهي الحرب التي حدد وزير الإعلام الصربي موقعها في صفحات كتاب هذا الصراع التاريخي ، عندما قال : « نحن ضالعين الحروب الصليبية الجديدة » ! . . .



- وبرزت القدس . . في هذه الحقبة من حقب هذا الصراع ، كما كانت في الحقبة الصليبية ، باعتبارها « الرمز » والمقصد . . . والمفتاح . . . ! . . .

- فتهويدها . . واحتكار قداستها . قائمان على قدم وساق . . . وإذا كانت ذاكرة الأمة ، بواسطة ثقافتها ، قد ظلت واعية بمكانة القدس في هذا الصراع التاريخي عبر تعدد المراحل والحقبات . . فإن المهمة المعاصرة لثقافتنا الوطنية والقومية والإسلامية هي إبقاء ذاكرة الأمة على وعيها الكامل بمكانة

هذا القدس الشريف ، وذلك حتى يطلع الفجر الجديد ،
بالناصر صلاح الدين الجديد ! .

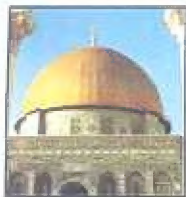
لقد درج الناس - عامة الناس - على تسمية قضية القدس
وفلسطين : « أزمة الشرق الأوسط » والمطلوب هو الوعي
« بتاريخ أزمة الشرق الأوسط » هذه . .

ولقد أراحنا الكاتب والقائد الإنجليزي « جلوب باشا »
عندما قال : « إن مشكلة الشرق الأوسط قد بدأت منذ القرن
السابع للميلاد » !! . . أى منذ ظهور الإسلام !! .

وإذا كان وعى الأمة بالتاريخ هو السبيل لإعدادها كى تصنع
التاريخ . .

فلعل أن يكون بهذه الصفحات من الزاد الفكرى ما يسهم
فى الاقتراب من هذا المقصد النبيل . .

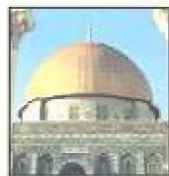
صناعة التاريخ الذى يستعيد الحق السليب .



المحتويات

| | |
|----|------------------------------------|
| ٧ | القدس قبل الإسلام |
| ١١ | التاريخ الإسلامى للقدس |
| ١٧ | فى الحقبة الصليبية |
| ٢٣ | مرحلة عزل مصر |
| ٢٧ | استنهاض روح المقاومة |
| ٣١ | الشعر والتاريخ |
| ٣٥ | وجاء صلاح الدين |
| ٤١ | النصر فى حطين |
| ٤٥ | فتح القدس |
| ٤٩ | وفى العصر الحديث :- |
| ٤٩ | ١ - موقفان من الحضارة والإنسان |
| ٦٩ | ٢ - وثائق فى الصراع الحضارى |
| ٩٧ | لكن .. عاد الأسر - المعاصر - للقدس |
| ٩٧ | مرحلة التطويق العالم الإسلامى |
| ٩٨ | مرحلة اختراق القلب |

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى
الذي باركنا حوله للربية من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴿الإسراء: 1﴾

ويقول رسول الله ﷺ، فيما يرويه أبو هريرة، عن أبيه :

لأتشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد إلى المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى،

رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي والامام أحمد.

